تحولات

نحو مجتمع جديد

شهرية . فكرية . ثقافية

ص.ب 7179-113 بيروت

العدد 81 أيلول 2013

24 صفحة 2000 ل.ل

www.tahawolat.net

صراع الهُوِيَّة والفوضى

• لوحة للفنان العراقي محمد سامي

إرادة الانتصار...

• زهير فياض

ثمة حقيقة لا بدّ من إدراكها والتعامل معها والتصالح مع تحدياتها وما تطرحه من مهمّات، وتتمثّل في أن الحياة صراعٌ من أجل إثبات الوجود الفاعل الحر في كل ميادينها، ومعتركاتها...
لذا، لا بدّ من بناء كل الحسابات على قاعدة الوعي والفهم لهذه الثابتة في كل ما نقوم به، وما نفعله، وما نخطط له...
ولعلّ قدرنا في هذه المنطقة من العالم... أن نفهم بعمق هذه الحقيقة، لأننا محكومون بأقسى أنواع الصراعات التي، ربما ومع الأسف، شهدتها البشرية في تاريخها القديم والوسيط والمعاصر...
لقد جُبلْنا على تحدي الصراع من أجل البقاء والاستمرار في أشرس ميدان، وأعتى معركة، وأقسى ظروفْ...
وليس لنا خيار إلا أن نكون في الميدان مقاومين بالكلمة، بالسلاح، بالاقتصاد، بالثقافة، وليس لنا مناص من العمل الحثيث والجدي والرصين لتصليب قدرتنا مجتمعاً وأمةً وبنيةً شعبية على الصمود والفعل وجبه كل أشكال العدوان الموصوف الذي نتعرض له...
ثمة تحديات كبرى تخطيناها، وثمة تحديات أكبر تلوح في الأفق، لن نلقي السلاح قبل أن ننتصر...
هذا هو قرارنا... هذا هو خيارنا... سنبقى نقاتل حتى النهاية... ولن ندخر جهداً في تثمير وتفعيل وتوحيد كل الطاقات والإمكانات كي نضمن تخطي الصعاب، والتغلب على كل الأخطار التي تواجهنا بأشكالها المتعددة والمختلفة والمتلونة والمتشعبة والمتداخلة بين ما هو خارجي وبين ما هو داخلي، بين ما هو من فعل الآخرين، وبين ما هو من صنع بعضنا...
بالطبع، صراعنا يرتكز على حقائق في الوعي نسعى إلى تعميمها وترسيخها وتعميقها في عقول وأذهان، وقلوب أبناء مجتمعنا، وناسنا وأهلنا... كل ناسنا وكل أهلنا خارج سياقات التقسيم والتصنيف والتفريق...
وأولى هذه الحقائق... إيماننا بوحدة المجتمع، بوحدة الأمة، بوحدة الشعب، الذي يرتكز على عمق تاريخي وجغرافي يأبى الا الوحدة في كل حقباته... ويرفض في اللاوعي وعلى أرض الواقع ومن خلال تشابكات الحياة الواحدة التي لا تنفصم عراها، يرفضُ أي طرح تقسيمي تجزيئي تفتيتي، بالرغم من كل مظاهر الانقسام التي تطفو على السطح...
ما بناه أجدادنا ماضياً، في التاريخ والجغرافيا، لن نسمح لفئة ضالة ومضلِّلة ومضلَّلة من شعبنا أن تهدمه، ولن نسمح لقوى خارجيه أن تحطمه، لأنه ضمانُ مستقبلنا ومستقبل أجيالنا التي ولدت والتي لم تولد بعد...
إن وعي أجدادنا لوحدة الحياة في بلادنا من الفرات إلى النيل، في كل سوريا الطبيعية في زمن القبائل والعشائر لن نسمح لأحد بالنيل منه في زمن «العولمة»...
والوحدة الشعبية الحياتية التي نسجها الأقدمون في كل مدينة وقرية ودسكرة، وتمثلت في الحياة الواحدة، والعيش الواحد، بين الأديان والطوائف والمذاهب والعشائر، ومثلت بداية تجسيد الهوية القومية الواحدة الجامعة التي تمظهرت بألف مظهر ومظهر، لن نسمح لقلة غبية أن تقضي عليها... ووحدة المصالح الاقتصادية – الاجتماعية ودورة الحياة الواحدة التي تضمّ في أطيافها كل الناس وكل الفئات في الشعب الواحد والمجتمع الواحد والأمة الواحدة سوف تبقى شرايينها متواصلة بإرادتنا وبفعلنا وبتضحياتنا تضخ دم الحياة الدافق حباً وخيراً وعطاء...
بالرغم من كل الأنواء سوف نبقى نلهج بالوحدة، ونبشر بالوحدة، ونعمل من أجل تجسيد هذه الوحدة في أجمل وأرقى مضامينها ومظاهرها...
بالرغم من كل التحديات، سنبقى نلهج بالمقاومة... خياراً وحيداً أوحد للدفاع عن بلادنا وعن شعبنا وعن حاضرنا وعن مستقبلنا...
بالرغم من كل تحدّيات الإرهاب الذي يلف بلادنا من عراقها الى شامها الى آخر دسكرة فيها، سوف نبقى الردّ العاصف على الإرهاب والتكفير وكل نتاجات الفكر الظلامي القذر... الذي يزرع في بلادنا دماً وخراباً ودماراً...
ثمّة حقيقة نؤمن بها، حتى ينقطع النفس، حقيقة أن النصر صبرُ ساعة، وصبرنا سيلاقي أعظم نصر في تاريخنا المعاصر.

علامة يعيد طرح السؤال الأبدي: «لبنان الى أين؟»

• شروق نعيم

«ان نجاح العملية التنموية يرتبط ارتباطا وثيقا بايجاد الاجهزة الكفوءة على الصعيد الوطني. وبالنظر الى ذلك يمكن أن نستنتج ان عمل الادارة اللبنانية في هذا المجال يعكس سياسة الدولة لجهة عملها تحت جناح القطاع الخاص ويمكن ان يسجل...».

هذا مقطع مقتبس من كتاب لبنان الى أين؟ للدكتور حاتم علامة وقد ورد في مستهل دراسته الشاملة التي تضمنت جميع المراحل السياسية والاقتصادية والتنموية منذ عهد المتصرفية وحتى زمننا الحاضر.
اللافت في هذه الدراسة أنها تطرح موضوع التطور الذي حدث في لبنان خلال مئة عام متوازية مع المنظور التنموي البيئي وتلازمه مع التطور. فاللبناني الذي يتميز بسرعة البديهة ليس عليه سوى دراسة تاريخه بروية حتى يستطيع الاستفادة من العبر.. ليعتبر!
يتطرق الكتاب بأسلوب واضح ومتسلسل الى التأثيرات التي كانت وما زالت تتجاذب بلدنا الصغير المشرذم الى طوائف ومناطق، وكل طائفة بدورها منقسمة على نفسها، بدءًا من عهد المتصرفية تحت حكم الخلافة العثمانية التي كانت تمرّ بمرحلة نزاعها الأخير، الى مرحلة الانتداب الفرنسي الذي قوّى الاقطاع بدوره في الريف حتى نمو البرجوازية الكومبرادورية الوسطية، هذه الفترة التي امتدت من العام 1861 حتى الـ1915 وخلفت وراءها تراكمات لا تحصى ولا تعد، يُعبر عنها الدكتور مسعود الضاهر قائلاً: «لم يحل العام 1915 الا وكانت الرساميل الفرنسية قد شكلت 60% من الدين العمومي العثماني» كانت تكرس لتبعية فرنسية وسياسة غزو اقتصادي..
اما مرحلة ما بعد الاستقلال فقد كانت مرحلة تمهيدية لتعزيز دور دولة يتقدمها الاقطاع ويدعم بعضَ أطرافها فيضٌ من الرساميل الأجنبية.. وربما كان لهذا دور لاحق انضمت اليه عوامل اخرى وكانت سبباً في اشعال الحرب الأهلية في لبنان. ومن هذه العوامل توطين اليهود وتأسيسهم كياناً غاصباً وتشتيت الفلسطينيين ولجوء بعضهم الى لبنان واحتكاكهم باليمين المتطرف ويبقى السؤال عالقاً: ماذا نتج عن الحرب الاهلية ؟
واجهت لبنان حرب أهلية دامت خمسة عشر عاما من 1975 حتى 1990. فتضررت جراءها وبشكل خطير جميع البنى التحتية للاقتصاد اللبناني، وتراجع الناتج القومي إلى النصف، وكانت له آثار جسيمة على وضع لبنان الذي عُرف كأهم مركز تجاري ومصرفي في الشرق الأوسط. أما بعد الحرب، فيمكن ان نسجل ان الحكومة المركزية استطاعت ان تستعيد قدرتها على جباية الضرائب والسيطرة على ميناء رئيسي وبعض المرافق الحكومية. ونتيجة لذلك، ارتفع الناتج المحلي الإجمالي للفرد الواحد ٪353 العام 1990.
قبل التطرق الى الوضع الراهن، واعتبرنا ان نظام لبنان رأسمالي حر يعتمد على المبادرة الفردية والانفتاح على العالم الخارجي مع تحرك مناسب للرساميل والعمالة، فكيف يمكن لاقتصاد منفتح حر ان يتخطى قوقعة الطائفية وسجن الإقطاع والزعامات، عداك عن أطراف مستزلمة للخارج وقرارها يبقى وحده الآمر الناهي؟
يحدّد د.حسن صعب خمسة مؤشرات للعلاقة التدويمية بين نظامنا السياسي والعملية الانتخابية، وهي: المؤشر الطائفي، الجيلي، الطبقي، المالي والايديولوجي.
ومزامنة مع ترسيخ النظام الطائفي بدءاً بنظام الحكم حتى قاعدة التوظيف، مروراً بقانون الانتخابات، طرح الكتاب فرضية الديمقراطية العلمانية.. جاء في الكتاب: «فأية ديمقراطية نعني؟ فالديمقراطية هذه هي دائرة ضيقة لانتفاع فئات البرجوازية والإقطاع السياسي من الطوائف المختلفة من خيرات البلد ضمن قانون انتخابي عاجز عن تحديث الدولة ومؤسساتها ويخول مواقع السلطة حماية نفسها من أي تجديد فعلي».
قد تكون هذه النظرة تهكمية، ولكنها تلامس الواقع الى حد كبير، فصحوة الشعوب هي أكثر الأمور تعقيداً فالانسان ومنذ الازل تواق لتصديق النبؤات فهل فعلاً ان ثبات الشعور ينتظر أسطورة الاسكندر المقدوني!
يقول هتلر: «اذا أردت السيطرة على الناس، أخبرهم أنهم معرضون للخطر، ثم حذرهم أن أمنهم معرض للتهديد، ثم خوّن معارضيك وشكك في ولائهم ووطنيتهم».
يطرح د.علامة حلولاً كمساهمة وتسوية ممكنة، بعضها نفذ والبعض الآخر يتطلب منظومة تنموية ومسارات متكاملة. وقد قسم شركاء هذه المنظومة الى أربع حلقات: قطاع خاص، قطاع عام، مجتمع مدني ودعم دولي. وفقاً لهرم المنظومة التنموية.
اما عن أبعاد التطور فقد بدا واضحاً ازدياد الطلب على التعليم العالي وازدياد مؤسساته (40 مؤسسة)، حيث يتوقف الوزير شربل نحاس عند مصطلح «الكفاية» (الإنفاق الحكومي على التعليم ص. 302 _ لبنان الى أين؟).
يختتم د.علامة قائلاً إن المأزق هو المأزق، فلا يجب ان نقف مكتوفي اليدين وموثوقي القدمين، بل علينا البحث عن مصير واقعي، وذلك بتفكيك المأزق وتوزيعه الى مشكلات يمكن التفكير في حل لها. وهو مناسبة للدعوة الى قراءة الإنجازات لا سيما مرحلة العهد الشهابي وتقرير بعثة ايرفد.

سعاده والثامن من تموز

• منصور عازار

كتب سعاده من مغتربه القسري وقبل عودته الى الوطن رسالة هامة جداً الى رفقائه في الوطن يقول فيها: في كل هذه المدة الطويلة، وبعد كل هذه المحن العظيمة لم يضعف ايماننا بل قوي – ايمانكم بي وايماني بكم. آمنتم بي معلماً وهادياً للامة والناس ومخططاً وبانياً للمجتمع الجديد وقائداً للقوات الجديدة الناهضة الزاحفة بالتعاليم والمثل العليا الجديدة الى النصر وآمنت بكم امة مثالية معلمة وهادية للأمم، بناءة للمجتمع الانساني بروح التعاليم التي تحملون حرارتها المحيية وضياءها المنير الى الامم جميعها، داعية الامم الى ترك عقيدة تفسير التطور الانساني بالمبدأ الروحي وحده وعقيدة تفسيره من الجهة الاخرى بالمبدأ المادي وحده؛ الاقلاع عن اعتبار العالم ضرورة، عالم حرب مهلكة بين القوة الروحية والقوة المادية؛ والى التسليم معنا بأن الارتقاء الانساني هو اساس روحي – مادي «مدرحي» وأن الانسانية المتفوقة هي التي تدرك هذا الاساس وتشيد صرح مستقبله عليه: ليس المكابرون بالفلسفة المادية بمستغنين عن الروح وفلسفته ولا المكابرون بالفلسفة الروحية بمستغنين عن المادة وفلسفتها. هذا العالم يحتاج اليوم الى فلسفة جديدة تنقذه من تخبط هذه الفلسفات وضلالها. وهذه الفلسفة الجديدة التي يحتاج اليها العالم فلسفة التفاعل الموحّد الجامع القوى الانسانية هي الفلسفة التي تقدمها نهضتكم.

من هنا، من هذه المفاهيم الفاصلة بين العالم القديم المنتهي والجديد المتحفز ينبري انطوان بطرس المؤرخ لمسيرة الزعيم إلى امر جلل من باحث لبس السيرة فأضحت رداء البحث المتجذر في حياة مبصر للبعيد. انطوان بطرس الراوي لأحداث عاشها ذلك المتحدر من الشوير، ليجوب الدنيا بحثاً عن صراع، اقتحاماً لتعمية التاريخ عن امة، استبسالاً في قتال بلوغاً للاستشهاد. انطون سعاده وفي الخامسة عشرة من عمره استغرقه انشغاله بحقيقة امته، واستوطن انشغاله هذا مسام

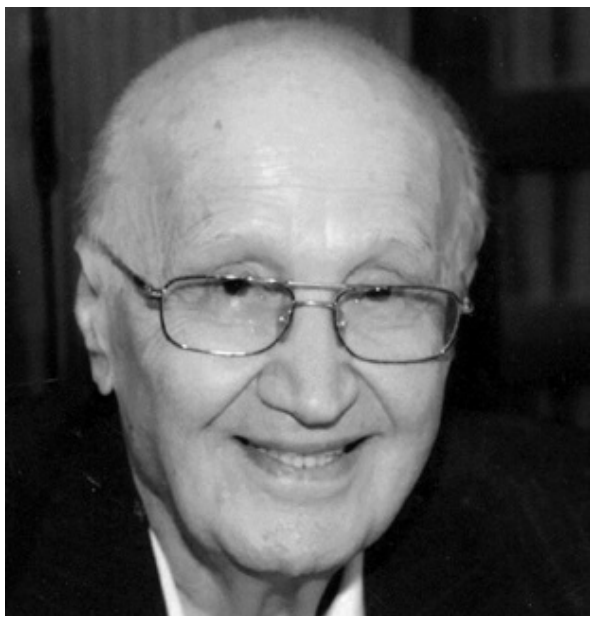

جسده، وخفق فؤاده ونبض الكرامة الذي اجتاحه اجتياحاً لا تعايشاً بهوادة وغدا فكره الوقاد محفزاً للسعي وراء هدفه، ارتهن حياته للمبادئ التي وضعها وآمن بها ولم يغيّر في خط سيره ولا بدّل تبديلاً من التأسيس الى الاستشهاد.

هوذا العنوان الذي اختاره انطوان بطرس، وفيه عبر الى مضمون المرحلتين، فأضحى قلمه عيناً ترى وذاكرة تختزن وانبرى يسوق الاحداث الى مؤدّاها. هذا الذي لم يعرف الزعيم معرفة مباشرة، وان لم يكن منتمياً، فهو مؤمن بما استنزف سعاده من جراحه، ليدوّن بحبر دمه تاريخ امة في انسان، وتاريخ انسان لمجد امة لخصها بوقفة عز فقط.

إنه الباحث المتسهّد في لياليه، المكافح في نهاراته، لينال من الحجة ما يقنع، ومن الراوية ما يعلم، ومن التدوين ما يترسخ في السلوك السوري القومي الاجتماعي، نهجاً لا لبس فيه لبلوغ سدرة الايمان بحقيقة مَن نكون.

هو ذا سعاده بين ايدينا منذ أبصر النور في الشوير، الى أوان تفجره نوراً في رمل بيروت، هناك توهّم حقد جلاديه انطفاءه جسداً ولم يدركوا عظمة مواقفه بحيال تاريخ ارادوه نسياً لتبرير قيام ما قام في خاصرة الوطن السوري الجنوبية فلسطين الاسيرة، من تزوير لتاريخنا، وانتهاكات لحقوقنا، لعلهم بذلك يرهنون الوطن كله.

وحتى اليوم لا تزال المحاولات قائمة تارة في العراق، طوراً في الشام، تارة في شرق الاردن وطوراً في لبنان، وانطاكية الرهينة في أيد لا تمتّ لانطاكية بصلة.

انها الاقدار المفعولة على امتنا، فمتى يصير قدرنا نحن الفاعل في صراعنا لا ردة الفعل المتقية شر الفاعلين.

هو ذا انطوان بطرس يحفّزنا لقراءة تاريخنا، لا طمعاً بحظوة ولا خوفاً من قصاص. هو المتنكب بين أصابع يده قلماً حبره الصدق وريشته المعرفة ليقول كلمته في رجل لا يزال طليع فكر الألف سنة المنصرمة.

هوذا انطوان بطرس يلمّ من مروج سعاده باقة من زهر، اكليلاً من شوك، وهاجس الوصول الى الانتصار، ومن هذه جميعاً يتراءى لنا في صفحات كتابه، الزعيم، منتصب القامة، مرفوع الهامة، نشاهده في الكلمات وكأن الكلمة تريك ما لم تُرِك آلة تصوير، لأنها الكلمة المعبرة، وكأني بأنطوان بطرس سعُد وأسعدنا بسعاده الإيمان، والرؤى، والكتابة المبهرة وليس بتكديس الكلمات.

أيها المتهافتون الى سعاده، زورق لكم من هذا الكتاب تجوبون به في بحر الزعيم، اعبروا من ضفة الضوء الى ضفة المعرفة، ومن ضوء التأليف فلنتّخذ جميعاً قناديل المسيرة، ومن معرفة الاستشهاد زوّادة الايام الآتية، وقدوة لأجيال لم تولد بعد.

للصديق انطوان بطرس، مودّة واحترام. الباحث الذي يكتشف لنا كنوزاً ربما حجبها عنا صخب العيش، غير أنها تظل في صميم الحياة.

(مستوحاة من كلمة ألقيت في حفل توقيع كتاب انطوان بطرس في نقابة الصحافة بيروت حول انطون سعاده من التأسيس الى الشهادة 1932–1949)

المدير المسؤول: سركيس أبو زيد
إدارة التحرير: زهير فياض
مدير التحرير: زاهر العريضي
أمين التحرير: فراس الهكار
العلاقات العامة: عائدة سلامة
الإخراج الفني: نينار الأعسر

هيئة التحرير:
نجيب نصير، نحاتي ميداني، أسماء وهبة، عبير حمدان، يامن الدقر، أدهم الدمشقي، سلام الزبيدي، نادي قماش، عامر ملاعب

تصدر بالتعاون مع مكتب الداراسات العلمية برئاسة منصور عازار، بيت الشعار، المتن الشمالي
تلفاكس: 04914510
تصدر بموجب قرار رقم 82 تاريخ 1981/7/6 صادر عن وزارة الإعلام في لبنان
الناشر: دار أبعاد بيروت – شارع الحمرا – بناية هيونداي – ط 4
هاتف: 01751541/ 71341622
توزيع: الناشرون بيروت – مشرفية سنتر فضل لله – ط 4
هاتف و فاكس: 01277007/ 01277088 خليوي: 03975033

دمشق مكتب عائدة سلامة للإخراج الفني والتحضير الطباعي – عدوي خلف دار الشفاء – سعر العدد 25 ل. س
تيليفاكس: 44426588 خليوي: 0933331402 – E- mail:aydasalameh@yahoo.com
المواد المنشورة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

للإشتراك و الإعلان الاتصال على 01751541 www.tahawolat.net mail@tahawolat.net

www.khabaronline.com
أبعد من الخبر
خبر khabar online

عراة يقفون أمام القصير.. حفاة على طريق عبرا..!

• نسيب الشامي

لم تعرف أحزاب العالم على تنوع واختلاف مبادئها وبرامجها وأهدافها ما يمكن أن تصحّ مقاربته مع الأحزاب في لبنان، فالأحزاب عادة هي صناعة ساحاتها وبيئتها منها ولها وفيها تدور حركة هذه الأحزاب، وقد تحقق غاياتها وقد تفشل وقد تصل الى سدة الحكم وقد لا تصل. سعيها الى الديمقراطية والتجدد قد يأخذها الى تغيير جدي في مجتمعاتها وحتى الى نهضات تغير مسار أممها او الى عكسها في مجتمعات أخرى أقلها الى السجون والتنكيل وسوء المصير. أما أحزاب لبنان فهي في غالبيتها صناعة ورم خبيث أو أورام خبيثة عدة، لأنها تدور بائسة في فلكها المحلي والإقليمي معتقدة وواهمة أنها تشارك الكون في فلكه وفق نظرة عالمية تحفظ لها المكانة والدور اللبنانيين بامتياز.

أحزاب لبنان قديمها وحديثها والمستحدث، التيارات الأحزاب أو الطوائف – الأحزاب أو الأحزاب – الطوائف الأحزاب – الزواريب أو الأحزاب الإمارات، أو الأحزاب – المنتهية الصلاحية أو المتجددة على عور ونقيصة، الأحزاب الأعضاء الخمسة، أو حتى الرئيس وزوجته أو تلك التي يصل تعدادها إلى آلاف الآلاف جميعها بحاجة الى ليلى عبد اللطيف حتى تقرأ لها فنجانها أو تتنبأ لها مستقبلها، أو قل بالإيحاءات الممجوجة كل هذا لأنها خرجت من دائرة المعقول إلى دائرة الغيب ومن دائرة الضوء على تمايزه الى دائرة الظلام الدامس والمجهول القاتم والقاتل والمدّمر، حتى باتت التوقعات خارطة طريقها وحاضرها ومستقبلها.

أحزاب لبنان أبناء سبايا حرب حرب الكيان الذي خلق لغاية ووظيفة من صنعوه وفق مشاريعهم وخططهم للبنان والمنطقة، ومن قبل به وفق حساباته الطائفية وطناً نهائياً، ومن أخذته مصالحه الصغيرة إلى دجل القبول الملتبس، إلى أولئك الذين قبلوا به بتوافقية الطرابيش الحمراء والنهائي بلسان عربي. أحزاب نشأ على زغل في كيان، على زغل في بيئة إقليمية حاضنة لكل زغل وفي عالم جعلنا في دائرة الزغل وحقل تجاربه فلا هو بدّل ولا نحن بدّلنا. أحزاب لبنان لها رأي في القصير: حزب المستقبل، القوات اللبنانية، الكتائب اللبنانية، الوطنيين الأحرار، التقدمي الاشتراكي، المستقلون الأباطرة، التوابع التابعة، أمانة 14 آذار العامة، السلفيون، جماعة النصرة، قادة الزواريب في طرابلس، زعماء الأحياء من باب التبانة حتى تعمير صيدا، كل هؤلاء مع ثورة الشعب السوري وضدَّ بشار الأسد.

كل هؤلاء مع التغيير إلى دولة ديمقراطية واحدة موحدة، وضدَّ نظام المخابرات والتركيبة الأمنية، وإيران وحزب الله. كان حزب المستقبل أول البادئين في دعم الثورة السورية بدأها بالبطانيات والحليب والمساعدات الإنسانية، وراح يضعها ويوضبها في صناديق الأسلحة الحديدية ليحفظها من التلف وراح الحليب والبطانيات يفسحان المجال للقاذفات والعبوات والرشاشات الحديثة، والنواظير الليلية وأحدث القناصات، كما أفسحا المجال لدور الحزب أن ينكشف على يد معين من هنا وصقر من هنا وضاهر من هناك وسعد من هنالك والجميع بأمرة الآمر الذي لا يتلوّن إلا باللون الأخضر وفاءً لطبيعته ودوره وارتباطاته، وكما دعمها في سوريا راح يدعمها في لبنان بكل زعماء الزواريب في طرابلس متأبطاً ذراع دولة رئيس من هنا وسعادة نواب من هناك ومشايخ سلفيين ومقلّدين حتى انتهى به المطاف في صيدا إلى خيبة لم يستفق حتى اللحظة من آثارها المدمرة بعد سقوط ظاهرة الأسير (أحمد) إلى غير رجعة.

أما بدعته الأخيرة على لسان النائب بهية الحريري وبعد الهزيمة السياسية الكبرى في عبرا هي تجهل أن استحضارها عنوان دولة لبنان الكبير إنما يدلّ على تموقعها وحزب المستقبل في خانة الموقع المذهبي وانحسار دورها السياسي إلى هذه الحدود الضيقة والتي تدلل على حقيقة الدور لحزب المستقبل. أما القوات اللبنانية فقد كانت أسيرة عفويتها السياسية وقلة خبرتها في قراءة الظواهر والأحداث فقد راحت مندفعة في زمن «الربيع العربي» وفي موسم الزرع والتموقع السياسي على وقع المشروع الأميركي – التركي – الرجعي العربي أن تكون غرسة لبنانية مسيحية في حديقة هذا المشروع، ولمّا تفتحت هذه الغرسة الغربية العجيبة راحت تنطق باسم الحكيم عبارات من نوع «فليحكم الأخوان»، وهو حكماً لا يقصد مصر تحديداً بل يريده يمتد ويتوسع حتى يصل الشام، وهناك يجد الحكيم ضالته في سقوط نظام الرئيس الأسد وربما حصار عسكري على المقاومة في لبنان وربما وربما... وصولاً إلى حلم الرئاسة.

سمير جعجع مع كتائب الفاروق وجبهة النصرة والجيش السوري الحر مع العرعور والاسعد والشققة، هو مع الشيطان ضد الأسد وطبعاً هو مع الرافعي والأسير في لبنان ومع المرعبي والضاهر في تدخلهم في سوريا. إنه العهر السياسي، العهر المدفوع الثمن. إنها ظواهر ما قبل القيامة ولعلها الأخطر والأوقح. أما المضحك فهو ما راح يردده الحكيم بعد سقوط الأخوان في مصر والأسير في لبنان، طبعاً ما قاله لا يستحق الذكر ولا الكتابة عنه لانه لا يمثل إلاّ سخافة الموقف وسخافة القول وسخافة الاستدارة. أما الكتائب اللبنانية: فقد تمايزت لجهة عدم قبولها بالتدخل في الشؤون السورية وقد أعلنت هذا صراحة، ولكنها لم تستطع أن تتخلى عن قراءتها الساذجة لمجمل الواقع السياسي فراح المسؤولون والنواب يقرأون في دفتر المواقف السياسية القديمة اليمينية المتحجرة من دون رؤية واقعية وقراءة فاحصة مدققة للأحداث والحال السياسية وموقع لبنان من كل هذا. وحده النائب سامي الجميل كان الظاهرة اللافتة وعنوان هذه الظاهرة صدقه صادقاً إذا سمعته وصادقاً إذا رأيته مقنعاً لك رغم بلادة الفكر اليميني الذي يتكئ عليه، لأنه يذهب بعيداً وجاداً وبلا قفازات متقصداً إقناع الناس، كل الناس، بواقعيته اللبنانية وواقعيته السياسية بالحال اليمينية المأزومة والحال المسيحية المنحسرة أمام الطرح المشرقي للمسيحية عند التيار الوطني الحر والرؤية الصادقة عنده والجنرال ميشال عون، ولكنها ظاهرة ربع الساعة الأخيرة. وليت سامي الجميل يقرأ في عمق الحال السياسية في لبنان والعالم العربي ويخلع عن منكبيه ورَثة الجد وزوادة الأب وينعتق من لبننة موؤدة مع عمّه بشير وجدّه وصولاً رجعياً إلى ميشال شيحا حتى يصل في جرأته حدود التعاطي مع المعنى الناتج الأخير في الثقافة والسياسة والاجتماع عندها يفيد من جرأته السياسية وقدرته على مخاطبة الناس وتمايزه عن غيره أكانوا في حزبه أم على مسرح اليمين اللبناني أو في المعتقل الفكري والسياسي عند 14 آذار، وربما عندها يستطيع أن يكون له دور رائد كما العماد عون. وربما تكون بداية رحلته الى الواقعية القومية أو المصداقية المشرقية وطلاقاً نهائياً مع الفكر الانعزالي واللبننة الموتورة والتخلف السياسي حتى لا نقول الطفولة السياسية غير الراشدة.

الكتائب اللبنانية رغم خلافنا الكبير معها نعترف بتمايزها عن غيرها من أحزاب 14 آذار. وأسباب هذا التمايز هو بعض الاتزان السياسي والابتعاد عن الدجل أو الانغماس في المحظور. إنه تمايز مشكور نعترف به لخصمنا السياسي ونهنئه عليه.

الحزب التقدمي الأشتراكي: إن القول الفصل في شؤون السياسة والحرب عند الدروز هو لوليد جنبلاط الزعيم الذي رسمته الحرب اللبنانية بتداخلاتها الطائفية

وتعقيداتها رجل القرار الدرزي الأقوى، حيث لا ينازعه أي فريق أو ينافسه خصم. لقد حسم أمره في طائفته أكان على حق أو على خطأ. نقول هذا ونحن لا نشاطره في نطاق ساحته السياسية في الجبل لا رأياً في السياسة ولا رؤية لمستقبل المنطقة ولا للبنان، لذا نقول إنه في الموقع السياسي الخاطئ والموقع التاريخي الخاطئ ونقول إن التناقضات التي كانت سمة عمله السياسي باتت حملاً ثقيلاً عليه وعلى طائفته وعلى الجبل أن يقف زعيم درزي ضدَّ الشام في أية مرحلة تاريخية قديمة وحديثة لا تكون إلا بمثابة مغامرة غير محسوبة النتائج. أن يقف زعيم درزي مع جبهة النصرة وأحمد الأسير والجيش الحر ليس إلا مغامرة غير محسوبة النتائج، وقد أثبتت الاحداث في القصير أو عبرا صحة ما نقول، لقد تروى وليد جنبلاط في موضوع المقاومة وحسناً فعل لقد حسم امره الى جانبها وحسناً يفعل. وربما تكون هذه أفضل الاستدارات وأهمها وأكثرها نفعاً وفائدة له ولطائفته وحزبه وللبنان.

ولعل في كل هذا عبرة للزعيم الجنبلاطي وهو قارئ جيد للتاريخ فالذين حاول استمالتهم ضدّ النظام في الشام هم أنفسهم على الضفة الأخرى من «عين دارة»، وهؤلاء تاريخياً ممن تركوا لبنان بعد حرب طاحنة مع عائلته الجنبلاطية ونفوذها وهؤلاء لا تربطهم أي علاقة بدار المختارة باستثناء مرحلة كمال جنبلاط والوهج الوطني الذي كان يتمتع به والممارسة الوطنية التي كان يحرص على حسن أدائها ومتابعتها وقد ختمها بالشهادة رافضاً تبديلها أو تعديلها أو حتى تلوينها بلون المراحل وزيفها.

حزب الوطنيين الأحرار هو حزب تابع ولا يملك استقلالية في الموقف ولا بالقرار وهو في منظومة 14 آذار دون قيد أو شرط، وموقفه أكان في القصير او عبرا هو خلاصة التبعية للحاضنة الحريرية السيئة الذكر.

التيار الوطني الحر: هو التيار الذي يتوزع مناصفة ما بين الدلالات والإشكاليات. أما الدلالات فتمايزه عن غيره من الاحزاب المسيحية بأنه انتقل عبر المشرقية التي نادى بها من الفكر المسكوني «الى الفكر القومي. الى الدين في بيئته الحاضنة ليعود بعد القصير والدور الذي يمارسه حليفه في مذكرة التفاهم «حزب الله» لينتقد دور الحزب ومشاركته في الحرب الدائرة في سوريا، فباتت المشرقية عندها لتشكل إشكالية في المعنى عند التيار وقائده. تدنت المشرقية الى لباس ديني خالص مذهبي طائفي من دون أبعاد قومية فظهرت هشاشة الموقف وركاكة الاستناد الفكري والسياسي. وبالتالي أولوية الشأن الكياني عنده دون سواه. إعلان التيار في أكثر من مناسبة وفي ما يسمّيه بالموقف الاستراتيجي من النزاع الدائر في المنطقة ووقوفه الى جانب المقاومة في حربها ضدّ إسرائيل وهي دلالة على عمق تفكيره القومي متموّلة بالموقف المعلن والثابت من هذا الصراع. ولكن وهنا الإشكالية كيف يصحّ في الجنوب بالموقف القومي وبالسياسة ما لا يصح في الشمال والشرق وتلك الحرب الكونية على سوريا وآثارها المحتملة المدمرة للبنان، وبالتالي على المشرقية وعلى كل التوجد الوطني والقومي والحر تبقى الإجابة عند التيار وحتى الساعة لا جواب.

– طرح النسبية كقانون جيد للانتخابات ولبنان دائرة واحدة كانت من علامات التيار الفارقة والصريحة والصادقة، ولكنها لم تعمّر حتى غمرتها إشكالية القانون الأرثوذكسي حيث شهدت هذه المرحلة بانغماس التيار بالطرح المذهبي والطائفي الذي لم ينسجم مع تاريخه وطروحاته السابقة وقوف التيار الى جانب الجيش اللبناني في عبرا، ومع حزب الله الذي شاطره الموقف ذاته، ضدّ التكفيريين، من جماعة الأسير، والنصرة، والمستقبل وبلال بدر والمخيمات الفلسطينية وفي هذا دلالة واضحة على سلامة الموقف، أما الإشكالية فهي في عدم قدرته على ربط الظاهرة الأسدية بالحرب الكونية الدائرة في سوريا وبالتكفيريين عينهم في القصير. يسجل للتيار صدقيته في تعاطي الشأن العام. ويبقى عليه أن يزيد في قراءة المواقف القومية عمقاً ودراية حتى تكتمل

عنده الرؤية المطلوبة، حتى يصبح التفاهم مع حزب الله من تفاهم ورقي إلى تفاهم يصب في عمق الواقع القومي وتحدياته الخطيرة.

الحزب الشيوعي اللبناني: حزب عريق وتائه أما أسباب التيه فإن بعضاً من قياديه الكبار أضاعوا بوصلة التيار فاختلط عليهم الاتجاه وارتبك أمام المسار فأي قاسم مشترك بين هذا الحزب الكبير و14 آذار؟ وما هي القواسم المشتركة بين حزب العمال وكوادره الحية المناضلة وحزب المستقبل مثلاً وفارس سعيد وميشال معوض؟

الحزب الشيوعي اللبناني أصيب بمرض التموقع وحرج التموقع فراح يستنسب الأسهل، فمناصرة الأسير جورج ابراهيم عبدالله والمطالبة بإطلاق سراحه ودعم الحملة العالمية من أجل إنقاذه هي حملة تناسب نضال هذا الحزب العريق، ولكن «القصير» من حيث الأهمية هي أبلغ أثراً وأكثر أهمية والحزب ينأى بنفسه في معادلة نجهلها ولا نريد أن نطلق احكاماً وهذا ينسحب على كثير من مواقفه من حركة العلمانيين الى عبرا.

البعث العربي الاشتراكي والاتحاد وحزب التوحيد العربي وبلحزب الديمقراطي اللبناني وحزب التضامن هي أحزاب الصدى للموقف السوري إقليمياً ولحزب الله في الساحة المحلية ومواقفها ثابتة وصادقة ولا تحتمل أي تأويل.

حزب الله راجع مقالنا بعنوان: من القصير الى عبرا إنها السياسة والدين والقضية القومية الواحدة.

الحزب السوري القومي الإجتماعي: عقيدته تملأ الدنيا وتشغل الناس من المغرب العربي الكبير حتى فلسطين، بعضهم جاء اليها متأخراً وبعضهم من ينادي بالمشرقية والمشرقية ليست إلا مرادفاً للقومية تعقد المؤتمرات بإسمها يُدعى المفكرون والمثقفون ورجال الدين الى ندوات تخصّ بلاد الشام وعروبة الشرق، وهي جميعاً ليست إلا مقاربة لفكر انطون سعاده، أما الحزب فهو في مكان آخر، فالمطلوب منه ليس أن يكون صدى وترداداً للموقف السوري. المطلوب أن يكون لديه رؤية والناس من حوله يؤمنون بعقيدته أنها الحل وخشبة الخلاص. المطلوب ان يرتفع الى مستوى المرحلة وهذا يعوزه الكثير الكثير.. سنكتب عنه في مستقبل الأيام.◗

عودة الإيديولوجيا

لم تمت، ولكنها كالجاذبية المسيطرة على فيزياء الأفكار

• محمود حيدر

◗ لم تمت الإيديولوجيا حتى تُولد مِن جديد. تلك أبرز البديهيات التي يمكن أن تواجه الدلالة التي ينطوي عليها عنوان هذه المقالة. لكننا آثرنا هذا العنوان بعد ما مرّ وقتٌ صار فيه الكلام على هذا المفهوم أدنى إلى منقصة فكرية. فحين غزت موجة النهايات فضاء الفكر العالمي قبل نحو عقدين من الزمن كانت الإيديولوجيا أول الضحايا. سوى أن الجدل بشأنها ما فتئ حتى عاد إلى حيويته القصوى، مع دخول العالم ولا سيما عالمنا العربي والإسلامي طوراً متجدِّداً من احتدام الهويات والعصبيات والأفكار. لذا يصير كلام على عودة هذه الكلمة «المذمومة»، ولكن المكتظة بالسحر، كلاماً في أمر اليوم.

• والذي حَمَلنِي على طرق هذا الباب أنني تذكرت قولاً للفيلسوف الفرنسي ريمون أرون، يطابق في حدِّه الأقصى صورة العالم في محنته الحاضرة. يقول أرون: تكاد صيغة «الإيديولوجيا هي فكرة عدوي» أن تكون أقلَّ تعريفات الإيديولوجية سوءاً...

• لقد اخترت وأنا أتهيَّأ لمقاربة الأيديولوجيا، ألاَّ أبدأ من سؤال غالباً ما يرفع منسوب الضجر قبل كل قراءة.. والسؤال هو: ما معنى الأيديولوجيا؟

• حين يتناهى الى السامع سؤالٌ من هذا النوع يأخذه تفكيره على الفور إلى مساحة من الأجوبة، تكتظ بما لا حصر له من التعريفات والأوصاف. ثم لا يفتأ هذا السامع حتى يتنبَّه الى أن ما سمعه هو أدنى إلى سؤال بديهي يتغيَّا جواباً صار بديهياً أيضاً مع الوقت. وساعتئذٍ لن يجد نفسه في حاجة إلى التعرُّف عما هو معروف. فما هو معروفٌ معاشٌ، وكلُ معاشٍ معقولٌ ومدركٌ، وإن تباينت رُتَبُ تعقُّله وإدراكه بين حالٍ وحال.

• كيف لنا أن نغادر إشكاليات المفهوم الذي ارتبط بالإنسان ارتباط الإسم بالشخص، أو تعلُّق الماهيات بوجوداتها.

• لو أنَّ لنا أن نأتي بتمرين لفظي يدلّ على مفعول الكلمات في الناس وفي الأشياء، لأَتَينا بالأيديولوجيا ولَكَانَ لنا بها مثل عزَّ نظيره في عالم المفاهيم. لكن لسنا على اليقين من أننا بإزاء الأيديولوجيا أمام مفهوم اعتيادي. فلئن كان كل مفهوم على ما نعلم هو وعي بالقوة لا يغادر حصنه الذهبي إلاَّ بإرادة تحيله إلى مهمة في الواقع، فالأيديولوجيا هي الوعي والإرادة في آن. وهي الفكرة ومجال استعمالها وتجسُّدها معاً. لا يفترقان ولا يتباينان، ولا يتقدم أحدهما على الآخر ولا يتأخر. فالمفهوم من منطقة الأيديولوجيا هو المهمة وأفكارها. هو الممارسة وخطابها. تنشأ الكلمات من حقل الأفعال ثم لينمو هذا الحقل ويزدهر بفعل تلك الكلمات. المسألة هي إذن، مسألة الفاعل الذي هو الإنسان، فإنه هو الذي يحفر في الحقل بواسطة الكلمات، ثم ليعود الى الحقل فيسدِّده ويوعِّيه ويرشده، أو ليضيف ويعدِّل من لغة الفاعل. وذلك في رحلة لا تنتهي إلاَّ بانتهاء أفاعيل كل قضية من القضايا.

• وإذا كانت خصيصة المفهوم، كما في الشائع، تكمن في ما يستدعي ظنيَّة الدلالة عليه، الأمر الذي يوجب الاختلاف والتباين وتكثُّر الرؤى في شأنه. فالأيديولوجيا لا تُرى إلاَّ في كونها استظهاراً سارياً على ثنائية الظن واليقين. ذلك بأن الإيديولوجيا فكرة وحدث في آن. فإذا كانت الفكرة مبعثاً للظن، فالحدث بما هو وجود عياني ومتشخص هو مبعث لليقين. فكيف إذا كان الحدث والفكرة متحدين في مجال واحد. والأيديولوجيا إذاً، فكرة حادثة، وبصفة كونها كذلك، فإنها تثير الأفكار كلما طال أمد اشتغال الفاعلين في حقولها.

• هل يعني هذا تعذُّر التوصيف أو بلوغ معنى محدد للمفهوم؟

• نقول: إن كل صفة تكتسبها الإيديولوجيا تتأتى من فعلها. ولا تتحصَّل الكلمات المؤسِّسة لأي خطاب إلاَّ بفعل التبادل بين النَّسق والفعل. بين البنية والحدث. بين خصوصيات الحيِّز الاجتماعي والفاعلين فيه. إن الكلمات على – ما يبين جماعة الهيرمينوطيقا المعاصرة – تعدُّ جزءاً من البنية بوصفها قيمة اختلافية، وهي بهذا المعنى ليست سوى افتراض دلالي، كما تُعدُّ جزءاً من الفعل ومن الحدث. وبهذا فإن آنيتها الدلالية تكون معاصرة لآنية العبارة المقدرة للتلاشي.

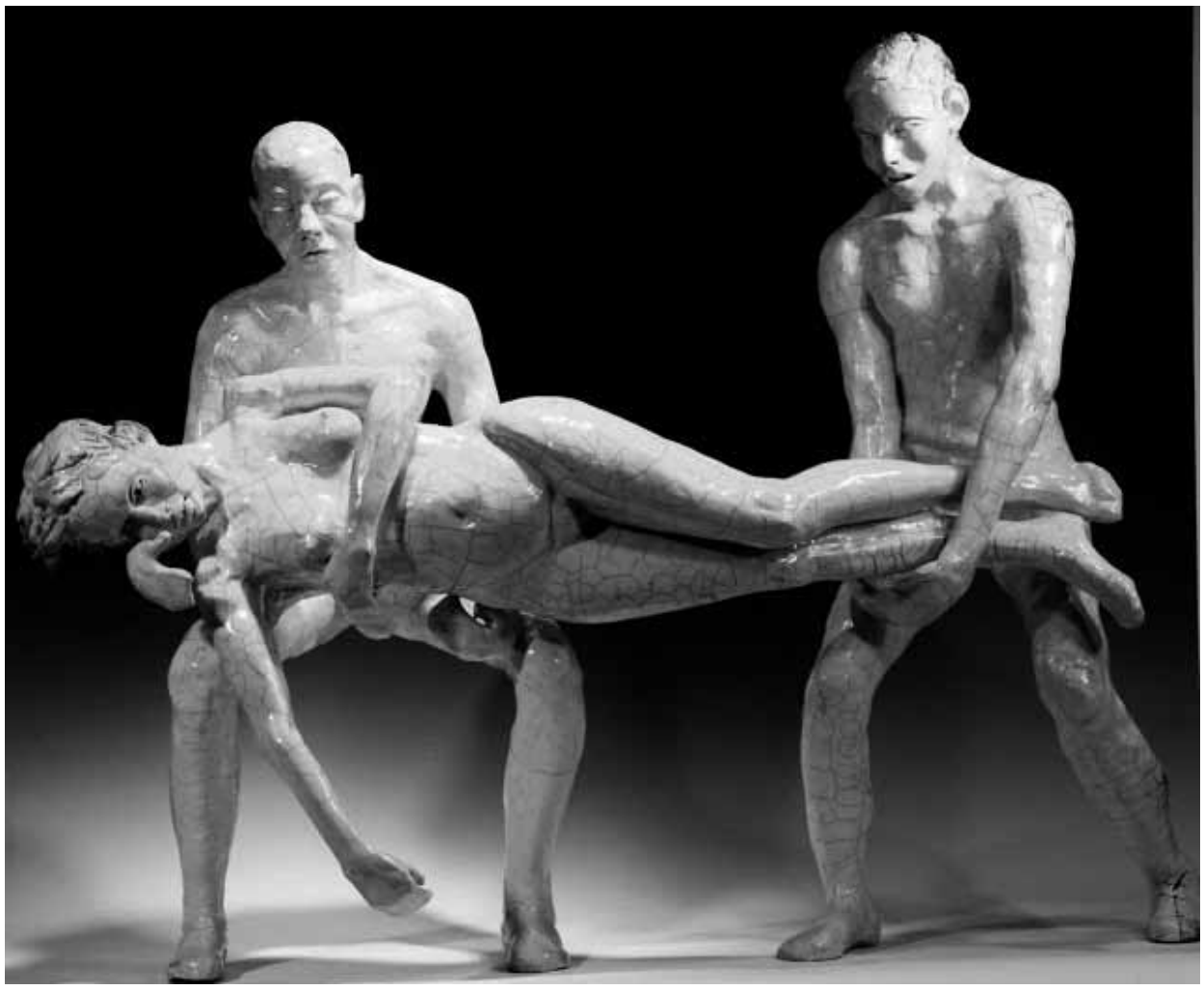

• تتميَّز الأيديولوجيا في كونها متعددة الصفات كفاعلها، أي الإنسان المتحيِّز. كأن يُقال مثلاً هذا قول ايديولوجي وذاك قول إيديولوجي، لكن لكل من القولين موقع مختلف ومراد مختلف. ولقد كان من أبرز إنجازات كارل مانهايم أنه أدرك هذه المشكلة فراح يوسع مفهوم الإيديولوجيا إلى النقطة التي أصبح معها يضم الشخص نفسه الذي ينادي بهذا المفهوم ويحمله الى نطاق الاحتدام نفسه. بمعنى أن المفهوم صار هو الشخص الذي يمارس عملية الفهم. أي ذاك الذي يختبر فكره وشعوره وشغفه بالأمر، إلى الحد الذي يمتلئ بكلماته ويقول: أنا هو الإيديولوجي أنا هي الأيديولوجيا. سوف يدحض مانهايم بقوة وجهة النظر القائلة بوجود متفرِّج مطلق، شخص غير متورط في اللعبة الاجتماعية، ويعتبرها ضرباً من المستحيل. فأن نصِف شيئاً بأنه أيديولوجي، ليس أبداً أننا نصدر حكماً نظرياً مجرداً، بل إن وصفاً كهذا ينطوي على معاينة اختبارية، لممارسة معينة، أو لرأي يتحرك في الواقع تقدمه لنا هذه الممارسة. فكل منظور يتم التعبير عنه من زاوية الناظر هو فعلٌ أيديولوجي بشكل ما. ويذهب جيرار ماندل ((Gerard Mendel في تفسيره لرأي مانهايم، الى أن الشخص الأيديولوجي متعدد. ذلك أن كل إنسان هو في الوقت عينه استيهام وإدراك. إنه حالة مركبة من ثنائيات متعاكسة متباينة في آن، لاعقلانية وعقلانية، لاوعي ووعي. حياة على أرضية من الموت. ذاتية جذرية وضرورة موضوعية، حب للذات وارتماء في أحضان الموضوع، فطرية واكتساب، مصير وتشكُّل، وكذلك استلاب وحرية.

• والأيديولوجيا هي كذلك، متعددة كأحوال فاعليها. لذلك يمكن القول إن فلسفتها تقوم على حضور يجمع بين البساطة والتركيب. وبين التناقض والتكامل. وهي متعالية متفرِّجة لكنها متعيِّنة ومتحيِّزة في الآن نفسه. مع هذا، لا يمكن الحكم عليها في منطقة المتفرِّج المتعالي من دون أن تُرى صورتها في المتعيَّن السياسي والاجتماعي. ثمة إذاً، وصل لا ينفك بين المتعالي الذي هو المفهوم، والمتحيِّز الذي هو محل الاختبار للحركة والتجربة. ربما هذا هو الشيء الذي حمل كثيرين من المفسِّرين إلى نفي الشائعة القائلة بوجود مفهوم بسيط بالإطلاق. ومدَّعى هؤلاء، أن كل مفهوم يملك مكوِّنات معينة ويكون محدداً بها.

• الإيديولوجيا ظاهرة فلسفية

• تمكث الإيديولوجيا كمفهوم على مقربة من هذه المقاربة الفلسفية. ذلك انها من أكثر المفاهيم التي تنتجها الفلسفة، جمعاً بين البساطة والتركيب. فمن ناحية كونها مفهوماً بسيطاً ليس للأيديولوجيا مصداق مادي موضوعي بعينه. فالمفهوم البسيط ينطوي على

استعدادات كثيرة لتوليد مصاديق واقعية لا حصر لها. وأما من ناحية كونه تركيباً فلأنه يحمل من الصفات والمعاني ما يجعله حاوياً لوقائع وظواهر تبدو حال ظهورها متباينة ومتفاوتة ومتناقضة بصورة مذهلة.

• لذلك لا تُعرف ماهية الأيديولوجيا الا بالتثنية. أي بالمقابلة بين شيئين وأكثر. أي باتحاد الكلمات والأفعال إما على شكل تصور في الذهن، فتصبح وجوداً بالقوة، لا تفتأ الإرادة أن تتدخل لتنقله بشغف حميم إلى وجود بالفعل. وإما على نحو التمثيل لوجودات واقعية تحمل على التفكُّر بأمرها.

• ولأن الأيديولوجيا بسيطة لا تُدرَك إلاَّ بالتركيب، فهي عالم صلاتٍ وعلاقات. وإذن، فهي بهذا المعنى مولود من هذا العالم ولا تقوم إلاَّ به. أي عبر تفاعل الأجزاء الحية لذلك العالم. بما يمكن القول إن ثمة شَبَهاً فلسفياً بين الأيديولوجيا والعلاقة. إذ تبعاً لقاعدة البساطة والتركيب يبدو المفهومان وكأنهما يستويان على نصاب واحد. فالعلاقة لا تحدث إلاَّ بين حدَّين وأكثر. وإن لم توجد الحدود فلا وجود لشيء اسمه العلاقة. ان العلاقة – على ما تنظر الفلسفة – من أوهن مقولات الفكر بل إنها الأكثر زوالاً وتبدلاً. ومع ذلك فهي موجودة مع كونها غير قائمة بذاتها. بها تظهر الأشياء متحدة من دون أن تختلط، ومتميزة من دون أن تتفكك. وبها تنتظم الأشياء، وتتألف فكرة الكون. إنها تقتضي الوحدة والكثرة في آن. هي واحدة، وكثيرة بحكم خصيصة الإلفة التي حظيت بها بين البساطة والتركيب. على صعيد الفكر تربط (العلاقة) بين مواضيع فكرية مختلفة وتجمعها في إدراك عقلي واحد، تارة بسببية، وأخرى بتشابه أو تضاد، وثالثة بقرب أو بعد. وعلى صعيد الواقع فإنها تجمع بين أقسام كيان، أو بين كائنات كاملة محافظة عليها في تعددها. وإذ يستحيل تقديم توصيف محدد للعلاقة حيث لا وجود مستقلاً لها، فهي كالماهية من وجه ما، لا موجودة ولا معدومة إلاَّ إذا عرض عليها الوجود لتكون به ويكون بها. لذلك سيقول عنها أرسطو، إنها واحدة من المقولات العشر، وهو عَرَضٌ يظهر في الكائن بمثابة اتجاه. إنها صوب آخر، تطلُّع، ميلٌ، مرجعٌ، ويقتضي دائماً لظهوره وجود كائنين متقابلين على الأقل. صاحب العلاقة وقطبها الآخر، ثم الاتصال بينهما.

• لو قُيِّض لنا أن نرى الى الأيديولوجيا بما هي كينونة فلسفية لاخترنا لها هذا التعريف: إنها علم بممارسة الأفكار. أو – بتوضيح أوسع قليلاً – هي العلم بجدلية ارتباط الأفكار المحدِثة للأشياء، بالأشياءِ المحدِثة للأفكار. أما مجال عملها فيمكث على خط العلاقة الذي يصل الفكرة بالحدث. والحادث بالفكرة التي يعيد صنعها في نشأة أخرى. أما خط العلاقة ذاك، فيشتد إو يرتخي، ينقبض أو ينبسط، تبعاً لحركة جوهرية تتفاعل فيها الإرادة المنتِجة للفكرة بإرادة الموضوع الذي تقصده تلك الفكرة لتغيِّره. فيتحصَّل من ذلك خروج الظاهرة الأيديولوجية إلى ميدان الحركة والصراع.

• المعنى والاستعمال

• يصعب فهم معنى الأيديولوجيا بمنأى من طرائق الاستعمال التي يأخذ بها الناس وهم في غمرة الأحداث، أو حين يمضون بشغف الى كشف هوياتهم في الزمان والمكان المحددين.

• كان فيتغنشتين يردد قوله الأثير: لا تسأل عن المعنى، إسأل عن الاستعمال. وهو في ذلك يسعى إلى انتزاع المعنى عن طريق الاستعمال. فإن معنى الأيديولوجيا بهذه الدالَّة يمكث في إجراءاتها الحادثة في حقول الاختبار. من خلال الاختبار تستظهر الكلمات معناها، حيث تغدو في حقل التحول الى وقائع كينونة ضاجَّة

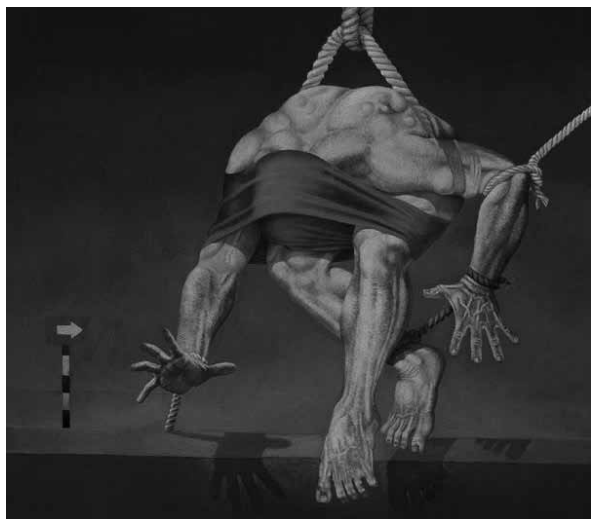

بالحركة. ففي اللحظة التي تستحيل فيها الكلمات ظاهرة في الواقع فإنها تخلع رداءها القديم وحروفها المنصرمة. ليقوم بعدئذٍ أولئك الذين تلقوها سمعاً وطاعة بإلباسها حروفاً جديدة وكلمات جديدة. فالفكرة ما إن تتمأسس حتى تفقد كلماتها تلك الحيوية اللازمة للطور الجديد الذي حلَّت فيه.

• لا تهتم الأيديولوجيا بالتوصيف. فهي إن فعلت ووصَّفت المشهد فسترى نفسها وضدها في آن. لذا فهي تؤثر اجتناب الرؤية الدائرية للزمان والمكان الذي تعمل فيه، لئلا يلتبس عليها الأمر وتقع في الاضطراب. وإذا حصل ووقعت في مثل هذا المحظور فقد تستغرق في سوء الرؤية، فيلتبس الخطاب ولا تعود العمارة الأيديولوجية بقادرة على ضبط توترها الداخلي، أو صون حياضها المقدس من استباحة الخارج.

• من طبائع الأيديولوجيا انحصار كلماتها داخل لغة «الما يجب» لا داخل لغة الـ«ما هو حاصل بالفعل». انها لغة التوكيد على الـ«ما ينبغي أن يكون» لا على الكائن بما هو كائن. ومع ذلك فهي تسعى لتستقرئ الموجود بما هو موجود من أجل ان تصدر أحكامها. وبحكم طبيعتها الجامعة بين حكم القيمة وحكم الواقع، فإنها تستخدم العقلانية العلمية التجريبية كوسيلة لإصدار الحكم على نحو أفضل.

• مثل هذه الممارسة ليست ناتجة بالضرورة من وَهَنٍ مفترض، في تعقيل ثنائية الواجب والواقع، أو من قصورٍ ذاتي في إدراك الخارطة التفصيلية لمجالات الاختبار. فالمعرفي متضمِّن، غالباً في إواليات الممارسة، لكنه يختفي تحت ضغط الرغبة في إيصال لغة «الما يجب» إلى التحقُّق الفعلي داخل علاقات القوى. إن المعرفي (العقلاني العلمي التجريبي) هنا ينطوي انطواءً إلزامياً ضمن عمليات التخطيط المدروسة في الممارسة الأيديولوجية، فلا يفارقها البتة. ذلك أنه يتعلق بتلك الممارسة تعلقاً ذاتياً اتحادياً بوصفه جزءاً منها، ونسقاً فاعلاً في عمليات التوظيف والاستعمال. وفي سياق اشتغاله على ترسيخ منظومته الفكرية والثقافية لإبطال حجة الخصم، يقدم الفاعل الإيديولوجي العامل المعرفي العقلاني، بما هو مادة للتوظيف، على حكم القيمة المجرد عن البرهان. وذلك ضرب من «المواجهة بالحيلة» على طريق إفحام الخصم تمهيداً لتحقيق الغلبة عليه. حتى لتبدو الصورة وكأن المعرفي هنا يسبق الأيديولوجي، ولو أنه على الحقيقة، يذوي فيه، يفعل وينفعل في نطاق الممارسة. بهذا الفهم فإن أسبقية المعرفي هو أمرٌ بديهي لأنه من ذات الأيديولوجي ويتبوَّأ الرتبة الأولى في مدارجه المتعددة، اللاَّمتناهية. والمعرفي أيضاً، حاضر ومستدرك في الرتب والمدارج جميعاً، فهو سيَّال فيها من غير انقطاع. ففي كل آن يمارس الأيديولوجي لعبته تكون ممارسته معقولة. أي ممارسة محكومة بمعايير الحساب العقلي وميزان الخطأ والصواب. وكل معقول معروف من جانب العاقل، متَّحد به اتحاد الوسيلة بالغاية. ولو صدف أن حلَّ الفساد في القضية التي هي حقل الاختبار، فذلك لا يعود إلى الانفصال بين المقدمة والخاتمة، وإنما إلى سوء التقدير في الموازين، وفي طريقة جمع تركيب وتوليف وتوظيف العناصر الموصلة إلى الغاية.

• حين يكمل الأيديولوجي ولادته، يكون المعرفي قد تحيَّز واتخذ له المحل المناسب في تلك الولادة. لقد تحوّل المعرفي (العقلاني) الى قابلية خالصة للتوظيف. فلن يعود بمقدوره أن يتحرك إلاَّ كظلٍّ للأيديولوجي. فالعلاقة بين المتقابلين ضمن هذه الحيثية هي علاقة اتصال الجزء بالكل، والتابع بالمتَّبع، وكذلك علاقة المحتاج إلى الغني.

• الصدق والكذب

• هل نستطيع الحكم بالصدق أو الكذب على الأيديولوجيا؟

• يمكن ذلك بحيثيةٍ، ما، ولا يمكن بحيثية ما، أخرى...

• قبل أن تمارس الأيديولوجيا ظهوراتها لن يكون بوسعنا الحكم عليها إن كانت كاذبة أو صادقة، عقلانية أو غير عقلانية، ذكية أو حمقاء، كاشفة للحقيقة أو حاجبة لها، مزيفة للوعي أو منتجة لوعي واقعي وحقيقي. في العالم الأيديولوجي كل حكم صادر فإنما يصدر من ثنايا التحيُّز التي تضج بحيوية الفاعلين. فهؤلاء الناس هم الذين يخلعون على الأيديولوجي، والظواهر الأيديولوجية صفات الحسن والقبح، او الزيف والحقيقة، او العلم والجهل.

• وسنرى في منطقة التحيُّز السياسي تحديداً كيف يُحكَمُ على الأيديولوجيا بالصدق والكذب تبعاً لفشلها ونجاحها. فعلى قاعدة الفشل والنجاح تجري الأحكام، بوصفها تقريراً إخبارياً عن قضية غادرت كونها بنية ذهنية لتحلّ في مختبر التجربة.

• ليس بالضرورة حين يتقرر الحكم بالصدق مثلاً على قضية منتصرة، أن تكون نتائجها شرعية. أو أن يكون الفاعل الأيديولوجي في هذه القضية، فاضلاً أو حكيماً. المسألة هنا تدور مدار منطق القوة وميزان الغلبة. لكن على الأكيد فإن الغالب الأيديولوجي استطاع أن يوظِّف مكوِّنات المفهوم في إطار استراتيجية مواجهة من أجل الوصول إلى الهدف. ففي فضاء الأيديولوجيا توجد مراتب استعمال لا حصر لها. فقد يستطيع القوي في مرتبة كونه قوياً أن يعطي لمساحات الكذب في خطابه الأيديولوجي زخماً يجعلها أكثر قابلية للتصديق.

• وهكذا فإن المسألة تتعلق بالسؤال عن كيفية توظيف الأفكار والأشياء وتيارات الحركة الاجتماعية باتجاه المصلحة. وبين البداية وبلوغ الغاية يظهر الجهاز الأيديولوجي ليحدد تلك الاستراتيجية. في هذا يمكن القول، إن معنى الأيديولوجيا سيتخذ سياقاً أكثر عمقاً، ليتشكل على المصلحة. وما سيلُ الخُطَب والأفكار والكلمات سوى المخطط المعرفي الذي سيمضي الفاعل الأيديولوجي على هُداه نحو المصلحة. سواء كانت هذه المصلحة آنية أو منظورة، أو أنها مصلحة عليا يتوقف عليها مصير مجتمع ودولة وأمة.

• الأيديولوجيا بمعنى أكثر تحديداً، هي فن صناعة الأفكار المؤدية إلى المصلحة.

• لذلك فكل منا ينطوي على فاعلٍ أيديولوجي وهو يختبر الحياة. او حين ينخرط في صراع من أجل الاعتراف. فلا مناص للناس من أيديولوجيا تعصمهم من التيه، كما لا مناص للناس في كل حين من أيديولوجي برٍّ أو فاجر.◖

• مدير مركز دلتا للدراسات المعمقة

جمال عبد الناصر ومنهجه القيادي.. جَدَلُ قرن

• هاني الحلبي

◗ لماذا جمال عبد الناصر الآن.. ومجدداً؟

يبدو التساؤل مشروعاً عن المبرر العلمي الذي يسوّغ البحث في الموضوع الناصري الذي عالجته عشرات أو مئات الدراسات ومنها أطاريح دكتوراه ورسائل دبلوم تخصصية، لكنها لم تعالجه حسب علاقته بمعطيات زمانه ومكانه عينهما وتأثيرهما في تكوّن المنهج القيادي الناصري وتأثيره فيهما، وكذلك تأثيرهما في تكوين البناء الاجتماعي المصري الحاضن العام الذي يستمد منه ذلك المنهج روحه وقوته المؤسسة. على الأرجح رآه معظم هذه الدراسات من زاوية انقطاعه عنهما وعن البنية الاجتماعية وخصائصها، كمنظومة كلية مفارقة للزمان وللمكان وللبناء الاجتماعي الناشئ فيه. وهذا ما يجدر استكشافه في بحث «جمال عبد الناصر ومنهجه القيادي.. جدل قرن.

وكي يمكن تحليل المنهج القيادي الناصري واستجلاء خصائصه تتم دراسة البناء الاجتماعي وفلسفة القيادة وطبيعة كل منهما والأنماط التي يحفلان بها والأشكال التي يمكن أن يتمظهرا من خلالها في الواقع الاجتماعي وعلاقة التأثر والتأثير المتبادلة بينهما عموماً، وفي الواقع المصري خصوصاً.

وحيث افتراض أن نموذج جمال عبد الناصر القيادي، تتوفر فيه شروط اختيار النموذج الأمثل لدراسة موضوعية، فيكون قريباً بمقدار وبعيداً بمقدار، في توفّر ملاءمة القيادة الناصرية ومنهجها مع خصائص البناء الاجتماعي وروائز الشخصية المصرية.

يعود اختيار موضوع منهج جمال عبد الناصر القيادي لأسباب عديدة منها، أن الأحداث الجسام المعيشة تحفز القرائح والعقول على التساؤل والبحث في بحث الماهية الاجتماعية المترابطة للجماعة القومية، وفي بحث البناء الاجتماعي وماهيته وتنوعاته المؤسسية وعلاقاته النفسية الروحية الرابطة أنسجته الاجتماعية المتباينة. وحيث يسهم البناء الاجتماعي للأمة في جلاء شخصيتها الذاتية المميّزة بالنسبة لغيرها من الأمم، معبرة عن نفسها بقواعد سلوك قومي تكون لحمة طريقتها الخاصة في حياتها وفهمها ذاتها، بحيث يمكن وفقاً لرصد تلك القواعد تعيين فعاليات عقلها العام. ومحاولة تعيين أسباب الويل التي تعظم تدريجاً في العالم العربي، في بحث السببِ المسبِّب للمأساة القومية في أبعد آفاقها وأعمق معانيها ودلالاتها، خصوصاً أن جمال عبد الناصر مثّل حالة فريدة بين رؤساء الدول في نجاحه الشعبي الواسع والذي تخطى حدود دولته إلى العالم العربي والإسلامي وما بعدهما.

إن حالة تطبيق البنية النظرية المستخلصة في البناء الاجتماعي وفلسفة القيادة ينبغي فحصها بعناية بالغة وبتوقع علمي ملائم لإمكانية تحقق معايير البحث للبناء الاجتماعي والقيادة فيها. وينبغي في هذه الحالة أن تكون في سياقها التاريخي والمنطقي مستوفية معطيات النمو والاكتمال، وعلى درجة من البُعد عن الباحث، لا تقربه بدرجة قرابة ما تخرجه عن جادة النزاهة أو توقعه في حرج أو تهافت غرضي، فتكون حالةً مؤثرة ذات وزن وتأثير حاسمين في سير الأحداث ومجراها خلال فترة كافية من الزمن، لرصد روائزها الحقيقية في التطبيق الفعلي، وليس فقط في ما تتضمّنه الخطب والتصريحات المدبجة بأدب سياسي وبعناية بالغة.

استجمع نموذج عبد الناصر إلى الفرادة خصائص أخرى تسمح باختياره موضوعاً لدراسة أكاديمية، فاستمرار حضوره بعد عقود من رحيله المفاجئ 28 ؟؟؟؟ أيلول 1970 كقائد شعبي وأمل قومي يستعاد في الملمات، وتلوذ إليه أوساط شعبية واسعة لاستمداد عزيمة وروحية قوية في مواجهة التحديات المصيرية. وهو حالة أصبحت بعيدة زماناً أي تسمح، بنتيجة المذكرات التي أصدرها البارزون من الضباط الأحرار ومعاصروهم والدراسات النقدية المختلفة الاتجاهات وما يمكن أن تكون نشرته دول أو جهات دولية ذات علاقة. وهو حالة بعيدة مكاناً ما يمكّن البحث من الاتصاف بالدقة من دون جواذب كثيرة أو مغريات مصلحية معينة أو خشية لوم أو قمع سلطة يصبو إليها المتقربون من ذويها بالتجلّة والاحترام بحيث يوظفها القائد الممسك بالسلطة للتأثير على موضوعية البحث، بحكم التطرق إلى قضايا ومسائل هي موضع سجال إلى اليوم.

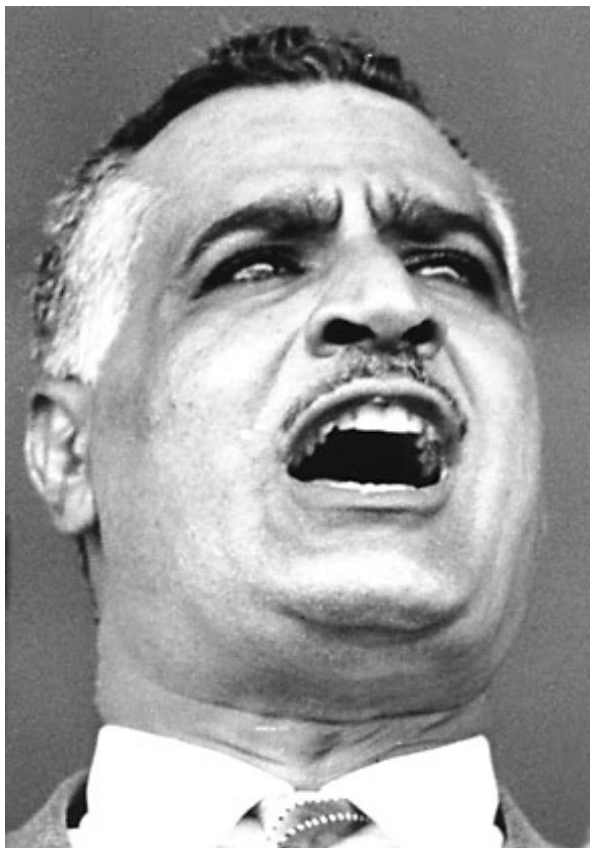

«بعد الإطلاع يمكن تكوين رأي» يصحّ وصفه بالنزاهة والتوازن العلمي، بعيداً عن ثنائية الحق والباطل الصارمة وثنائية التأييد والموالاة أو المعاندة الضدية والحكم المسبق أو الإيديولوجي، ما يمكن اعتبار نموذج جمال عبد الناصر حالة بحثية مكتملة أكثر من أية حالة رسمية في العالم العربي بدءاً من مشاركته العامة والسياسية في مظاهرات الثلاثينيات، ودخوله إلى الكلية الحربية وتأسيسه تنظيم الضباط، فالثورة ومن ثم مشاركته اللواء محمد نجيب الحكم والقرار بالفعل، ثم عزله نجيباً وتحديد إقامته وتوليه الحكم مطلقاً حتى رحيله وهو في قمة الذروة من الاكتساح النفسي والإعلامي للجماهير وقدرة الإمساك بأسباب القوة وخيوط النفوذ من دون أي منازع، مصرياً على الأقل. لذا فهي حالة منتقاة وليست حالة عشوائية أو يمكن الوقوع عليها بالصدفة.

يشكل موضوع «جمال عبد الناصر ومنهجه القيادي.. جدل قرن» إشكالية مزدوجة الوجهة، من وجهة أولى ما هي العوامل التي تكسب البناء الاجتماعي في سياق كينونته هوية وانتماء؟ وإذ يتبين القسط الأوفر من هذه العوامل تبرز إشكاليةٌ أخرى في مدى تأثير البناء الاجتماعي على فاعليات أنسجته وأفراده، خصوصاً القادة منهم، وإلى أي مدى يمكن رصد هذا التأثير؟

من وجهة أخرى لا يُرى البناء الاجتماعي مؤثراً وحيد الاتجاه في القيادة، لتعاظم الدور القيادي في العصر الحديث، ما يسوّغ السؤال الإشكالي هل القيادة مؤثرة في البناء الاجتماعي ويمكن تعديل خصائصه تقدمياً أو رجعياً، وفق مقاصدها وخططها؟ إذا كانت القيادة مؤثرة فإلى أي حد يبلغ هذا التأثير؟ بتبيين العلاقة المتبادلة التأثير بين البناء الاجتماعي والقيادة أصبح ممكناً النظر إلى موضوع البحث في النموذج الناصري المنتقى للدراسة فيه،- بوصف عبد الناصر قيادة من طراز خاص والمجتمع المصري بناء اجتماعياً بخصائصه الذاتية المحددة هويته-، للإجابة على السؤال التالي ما هو تأثير البناء الاجتماعي المصري في فلسفة القيادة الناصرية ومنهجها؟ وما هو دور هذا المنهج القيادي الناصري في سيرورة المجتمع المصري؟ وإلى أي مدى كان هذا المنهج تعبيراً عنه وعن نفسيته العامة ومصالحه في الحياة؟

المحاولة في هذا البحث، كإجابة مقترحة، تسعى إلى الإجابة على الأسئلة الإشكالية في فرضيتين، في سياق بحث الماهية الاجتماعية هل المجتمع بنية ضرورية اجتماعية ذات هوية وانتماء، أم أنه ميدان فوضى عارمة تعصى على التنظيم؟ وحيث يصح بالدليل المحسوس احتمال التنظيم العام للمجتمع القومي المحدد الهوية، فلماذا تسود الفوضى بعض المجتمعات وقد تتردى بها إلى التهلكة؟ لكن التنظيم غالب على الفوضى، فهل يُحدث التنظيم نفسه؟ التنظيم محدَث بفعل المنظم وبالتالي هو نتيجة المنظِّم ومن المنطقي نفي فرضية أنه يُحدث نفسه؟ إذاً مَن يحدث التنظيم؟ يقيم البحث البرهان على أن التنظيم أحد مهام القيادة أية قيادة، خصوصاً ذات البنية الإدارية. الفرضية الثانية أين تكمن مسببات الهزيمة والانحطاط؟ أهي في القيادة وفلسفتها؟ أم في البناء الاجتماعي ذاته؟ أم في عدم انسجام هذه القيادة بالذات لبنائها الاجتماعي عينه؟ وهذا يلزم عنه بحث فلسفة القيادة وعلمها وانبثاقها وأنماطها ومسوغاتها من حيث كونها ماهية وذاتاً، ومن ثم من حيث هي أداء فكر وسلوك مؤسسة متفاعلة في منظومة المدى الاجتماعي والمؤسسي. ومن ثم من حيث هي ظاهرة تاريخية قابلة الدرس والفحص، دالة على عقل الوجود والتاريخ ونبض روحيهما في الحياة البشرية خصوصاً.

في المنهج:

لا شك في أن دراسة نهج عبد الناصر كحالة سابقة زمنياً، لا يصح من دون استعادة وقائعها ومفاصلها المميَّزة، وهذا ما ييسره المنهج التاريخي، إذ يسمح بإجراء تقويم لهذه الوقائع بعد نضجها الزمني وتعدد وجهات النظر الباحثة فيها من زوايا ومنطلقات متناظرة، ما يسمح بنقدها موضوعياً، بدقة أعمق مما لو كان البحث متزامناً وحصولها، إنما للمنهج التاريخي عيوبه المعروفة كنسبية صحة الاسترداد وكنسبية الوثائق الى مجريات الوقائع وموضوعيتها وذاتية كاتبي الوثائق وأغراضهم التي قد تزيف الوقائع عما كانت عليه. فلا مناص من تقويم عيوبه واستكماله بمناهج أخرى، أبرزها منهج

تحليل النصوص، عندما تعرض للبحث وثيقة، أو نص تصريح أو خطاب أو ميثاق وحدة واتفاق وما شابه، وعطف هذا التحليل، منهج المقارنة بين النص وشعاراته وأمانيه اللاهبة وبين متحققات النهج الذي يقول به النص وإنجازاته الفعلية في الواقع، من دون تهويل أو انتقاص أو محاباة وتأييد لعبد الناصر، ولم تكن تلك تكفي من دون الالتفات إلى الإحصاء حيث توفرت الأرقام في الشأن السكاني والاقتصادي والعلمنفسي والاجتماعي عموماً، ما يفيده منهج السوسيومتري (Sociometrie) الذي يدعّم النظر بدقة الرقم والجدول مع التحوُّط لهامش الخطأ والعيب النسبي للإحصاء، وربط كل هذه المعطيات المحصلة بمنهجية علمية موضوعية، مترابطة بالوصف والتصنيف والتفسير والشرح.

صعوبات البحث كانت كثيرة، أهمها جدة الموضوع القيادي في الدراسة الأكاديمية الفلسفية فندرت المراجع والمصادر ذات المستوى والمنهجية الدقيقة، وجلُّها من إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، ومنها بعض حلقات سلسلة أطاريح الدكتوراه، وشكلت عزاء كبيراً لما تشغله في المكتبة العربية. لذا كان لازماً جمع مادة البحث من علوم إنسانية عديدة من خلال دراسة أبحاثها المختلفة لظاهرة القيادة وفق مناهجها التطبيقية، وتكييف تلك النتائج في ما يخدم البحث ويعزز التأمل فيها مقاربة ومقارنة. ثم ضخامة المنشورات التي شكل عبد الناصر وقيادته محورها المركزي كالخطابات والأحاديث الصحافية والإذاعية والبيانات والمذكرات الشخصية والسياسية والصحافة و..، ولعل مردّ الضخامة إلى حجم تأثير عبد الناصر في حقبة شديدة الحساسية والأهمية للمشروع الناصري العربي وكذلك للمشروع الصهيوني وحلفائه، فاحتاج كل مشروع إلى إعلام ودعاية سياسية واقتصادية وحربية كاسحة ليمكن أن يحقق فوزاً بالضربة القاضية أم بالنقاط. ناهيكم عن ضخامة البروباغندا الإعلانية الدعائية التي كانت تشنّها الإذاعات العربية والعالمية، كإذاعة لندن وكصوت أميركا وإذاعة صوت العرب، فتلقي على الوقائع نقاباً سميكاً يحجب حقيقتها ويغلفها بغلاف سياسي براق للموالين ومشوّه للخصوم، ما يجعل لهذه الدعاية الكاسحة فعالية كسيف ذي حدّين يضع البحث المكتوب أو المنقول في حينه وزمنه في موضوعية ودقة نسبيتين ويزداد احتمال عيبه بالإيديولوجيا اللاعلمية.

وينبغي التحوط الى عيوب أخرى فصَّلت في المنهج الناصري تظهر في طغيان الشفاهية والخطابية وقلة الكتابية التي لم يمارسها عبد الناصر بنفسه، ويرجح أنها من جراء استغراق القيادة وتركزها في شخصه. ومحذور آخر ينبغي أخذه بعين الاعتبار، وهو رسوخ عبد الناصر كأبرز الأبطال القوميين في العالم العربي شعبياً، من دون تفقّه الجماهير ولا حتى نُخبها بسرّ هذه البطولة وبروزها، ما يعارض بالفعل مستقبل أية دراسة جدية وحقيقية تعارض الدوغما (Dogme) السائدة والمروَّجة بإتقان شديد لعقود خلت، إن تعارضت مع نقد فلسفي مهما كان معمّقاً يهدف إلى تقويم تجربة عبد الناصر موضوعياً، بهدف إضاءة مسار الأمة التي تبقى بعد زوال أفرادها مهما عظموا، حيث إن الأمة هي الحامل (Le support) للتجربة الناصرية في الواقع وفي الحكم وعبر التاريخ. تعارض النقد البحثي مع الدوغما المروجة بما لها من امتداد وتصويت وقدرة على الترويج والنشر في أوساط دينية ومذهبية واسعة الانتشار يؤسس لغرابة النقد العقلي الفلسفي واستهجانه في السياسة والاعتقاد المباين للعرف السائد والتقليد! وتصبح هذه المعارضة اكثر خطورة وجسامة متى كانت تتعلق بمصر كنموذج للزعامة العربية بحجمها السكاني وموقعها، في تأثر وتأثير متبادلين بين الموضع والموقع ومعادلة الزمان والمكان في النهج القيادي، وفي تنازع مستمر مع أقطاب إقليميين آخرين (السعودية، العراق– وسوريا) وعلى زعامة عربية منشودة.

في بنية البحث:

يحتاج البناء الاجتماعي ضرورة لقيادة تنبثق عن مؤسساته وبناه المادية النفسية الاجتماعية، ما يعني أن البناء الاجتماعي تلزمه قيادة لهذه البنى. ولاحتياج القيادة لبناء اجتماعي هو الوجود الاجتماعي المعاين المحسوس بالمجتمع الحي، تكون تعبيراً لازماً عنه منبثقة منه ومتسقة في أنسجته الجمعية المتنوعة ومصوغة منها. هكذا تربط علاقة متبادلة بين البناء الاجتماعي والقيادة، كقطبين متلازمي الوجود والتأثير.

تتدرج الإجابة المقترحة على الإشكالية لهذا البحث في سياق من مقدمة وبابين وخاتمة:

. **مقدمة:** تعرض لقيمة موضوع بحث المنهج القيادي عند الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في هذا الواقع العام، ومسوغات محاولة قراءة في ضوء درس البناء الاجتماعي المصرية والتجربة الحضارية المصرية التاريخية العريقة وحصيلة الخصائص العامة لها، وأبرز الصعوبات التي اعترضت البحث وأمكن علاجها، وعرض بنية البحث.

. **الباب الأول:** بعنوان «البناء الاجتماعي المصري» ويتألف من أربعة فصول: الفصل الأول «لمحة تاريخية في البناء الاجتماعي المصري وخصائصه» العامة، الفصل الثاني «الإقليم المصري وتأثيره»، الفصل الثالث «في البناء الاجتماعي النفسي المصري وخصائصه»، الفصل الرابع: «في خصائص الحضارة الفرعونية المصرية» بوصفه حصيلة عامة للتفاعل الطبيعي والأولي بين الإقليم المصري والجماعة البشرية المصرية عبر التاريخ المنتج الخصائص النفسية الاجتماعية لهذه الحضارة.

. **الباب الثاني:** بعنوان «في منهج القيادة الناصرية» ويتألف من فصلين: الفصل الأول بعنوان «جمال عبد الناصر مشروع قائد» تُستعرض فيه البيئة الأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يرجح تأثيرها في المنهج القيادي الناصري، وتحضير واسطة الثورة التنفيذية بإنشاء «تنظيم الضباط الأحرار» وإدارة الصراع الخفي مع الملك ومن ثم العلني بعد تحول التنظيم قوة جامعة في الجيش، عبر انتخابات نادي الضباط، ومن ثم إطلاق الثورة فجر نهار الأربعاء 1952/7/23. الفصل الثاني وعنوانه «جمال عبد الناصر قائداً» يستعرض فيه مفهوم القيادة الناصرية ومعاييرها المحللة والمسندة بأقوال عبد الناصر، وديناميةالقيادة ومستوياتها التنفيذية الثلاثة: المركزية المصرية في قيادة فردية جماهيرية في آن، المدى العربي في محاولاته الدؤوب لبناء دولة عربية متحدة عن طريق مشاريع الاتفاقات الوحدوية الثنائية والثلاثية المتعددة، والمدى الدولي في تأسيس مبدأ الحياد الإيجابي الذي شكل نواة أولية لمنظمة عدم الانحياز، للانحياز إلى أحد المعسكرين الدوليين آنذاك المعسكر الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة والشيوعي الشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي السابق، وإظهار قيمة الديبلوماسية الناصرية في السياسة الخارجية لتجنب استخدام القوة العسكرية في المنازعات الدولية.

. **خاتمة:** يتم التركيز فيها على الخلاصات والتوصيات التي تحصلت من البحث، فتستخلص فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة، واقتراحات يمكن أن تسهم في استكمال دراسة التراث الناصري، خدمة للمعرفة ولتصحيح المسار العربي نحو نهضة ضرورية، وللتدليل على مفهوم «القيادة التعبيرية» كمفهوم مستنتج من الفة الانسجام بين القيادة الناصرية وخصائص مجتمعها بوصفها تعبيراً عنه.

يهدف هذا البحث إلى الإضاءة على المنهج القيادي الناصري بموضوعية ونزاهة،لا يطعنهما الحافز الوطني ولا غاية قطف العبرة من سجل التاريخ الزاخر لتقويم التجارب الكبرى وفهمها فهماً أفضل ومن خلالها الالتفات لتقويم الأداء المعاصر للقيادات الراهنة في تلافيها أخطاء القيادات السابقة وما آلت إليه. هذه الأخطاء التي تعظم نتائجها في التاريخ المعاصر بسبب الاستهداف الأجنبي الجديد، الأشد خطورة من سابقيه.

(كتاب قيد الطبع عن دار أبعاد بيروت طبعة أولى 2014).

ظهور المسيحية الشرقية كظاهرة نضالية ضد الاستعمار والاستغلال الروماني واليهود

• **جورج حداد**

لا بد أن نسجل (وبمعزل عن الجوانب الدينية . الايديولوجية، اللاهوتية والغيبية، وبالنظر فقط من زاوية الجوانب الاجتماعية . السياسية . التاريخية) أن الديانة المسيحية إنما ظهرت على وجه التحديد في سياق الصراع ضد روما الاستعمارية. وفيما بعد جاء ايضاً ظهور الاسلام في سياق الصراع ضد الاستعمار الروماني.

ومع الاحترام الكلي للتفسيرات الدينية لظهور المسيحية والاسلام (حول الوجود الإلهي، والخليقة، وطبيعة المسيح، وطبيعة الرسالة المحمدية، وجميع المفاهيم الدينية الغيبية . الماورائية) فإن الأهمية العظمى، من زاوية النظر الاجتماعية . القومية . التاريخية، لظهور المسيحية والاسلام، هو ظهورهما كتجسيد لنضال شعوب الشرق ضد العبودية الاجنبية وخاصة الاستعمار الروماني، وضد الاستغلالية . الانحطاطية . العنصرية . الخيانية للطغمة اليهودية العليا. وهذا ما يفسر الانتشار الواسع والسريع للديانتين المسيحية والاسلامية في صفوف الشعوب التي كانت تناضل ضد الاستعمار الروماني وطغيانه ووحشيته وضد انتهازية الطغمة اليهودية العليا واستغلالها وغدرها وخيانتها، التي تعاونت عضوياً مع الاستعمار الروماني حتى ضد قواعدها الجماهيرية اليهودية ذاتها. ويمكن ان نطرح مع جميع القراء السؤال المنطقي التالي:

. لقد ولد السيد المسيح وعاش واستشهد في فلسطين. وحسب الرواية الدينية المسيحية، هناك الالوف وعشرات الآلاف الذين رأوه وسمعوه وعايشوه. ويمكن التصديق هنا ان عشرات آلاف الفلسطينيين هؤلاء قد آمنوا بالسيد المسيح والمعتقدات المسيحية تحت تأثير مشاهداتهم واستماعهم للسيد المسيح ذاته ومن ثم تحت تأثير الدعوة الدينية المسيحية المباشرة.

ولكن ماذا علينا أن نقول عن الملايين وعشرات الملايين من الذين تبنوا المسيحية في مصر وشمال افريقيا والمناطق اللبنانية والسورية واليمن ونجد والحجاز والخليج والعراق وآسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان كافة، من دون أن يشاهدوا السيد المسيح ويستمعوا اليه؟

هل يمكن تفسير هذا الانتشار الواسع للمسيحية بتأثير الدعوة الدينية الغيبية والماورائية؟

أي هل يمكن القول إن هذه الشعوب آمنت بالمسيحية من خلال الاقتناع بألوهية المسيح الخ؟ وانها وقفت ضد روما واليهود كنتيجة للايمان بألوهية المسيح؟

إن تاريخ نشوء المسيحية وانتشارها ينفيان هذا الطرح. اذ يفيدنا هذا التاريخ بوجود الاختلافات والخلافات اللاهوتية في صفوف الكنيسة المسيحية ذاتها. ولكن هذه الاختلافات كانت وقفاً على «النخبة الكنسية». اما جماهير المؤمنين فكانت بطبيعة الحال «كتلة سلبية» او «كتلاً سلبية» في كل ما يعني الخلافات اللاهوتية والتفسيرات الغيبية . الماورائية. وكانت تلك «الكتل السلبية» تحسب اوتوماتيكياً على هذا اللاهوتي والزعيم الديني او ذاك. ولكن كل الكتل الجماهيرية المسيحية، وأياً كانت التفسيرات الغيبية . الماورائية للقادة الدينيين، كانت تقف في المعسكر المعادي للاستعمار الروماني وللخيانة والغدر اليهوديين.

ونستطيع أن نخلص الى الاستنتاج التالي:

إن هذه الشعوب الشرقية كانت ضحية للاستعمار الروماني والاستغلال والغدر والخيانة اليهودية. وكانت في حالة صراع ونضال ضد الاستعمار الروماني وضد الاستغلالية والانحطاطية والغدرية والخيانية اليهودية. ومن خلال هذا الصراع كانت هذه الجماهير الواسعة بحاجة الى اطار تنظيمي نضالي يقوم على اساس معادٍ لروما وللطغمة اليهودية. وجاءت المسيحية لتلبي هذه الحاجة التاريخية لشعوب المنطقة. أي أن النضال ضد روما واليهود جاء بشعوب المنطقة الى المسيحية، وليس العكس. فهذه الشعوب أتت الى المسيحية ليس بتأثير ظهور المسيح والإيمان بألوهيته، بل إن قسماً كبيراً من الجماهير اتت الى المسيحية قبل ظهور السيد المسيح. كما ان الاغلبية الساحقة من الجماهير التي أتت الى المسيحية بعد ظهور السيد المسيح، لم تأت الى الدين المسيحي لأن السيد المسيح هو «الله» او «ابن الله» او «رسول الله» او اي صفة دينية لاهوتية اخرى، بل لان السيد المسيح برز كمناضل ضد روما واليهود وقدّم حياته كإنسان في هذا السبيل. وتبني المعتقدات الماورائية المسيحية يأتي بعد الدخول في التنظيم المسيحي.

أي أن التعليم الديني المسيحي اللاهوتي الغيبي . الماورائي يأتي لا قبل، وإنما بعد الدخول في المسيحية، وليس الدخول في المسيحية يأتي بعد التعليم المسيحي الديني الغيبي.

فمن خلال موقفها المعادي للاستعمار الروماني ولليهود، فإن شعوب الشرق تبنت المسيحية كعقيدة وتنظيم نضالي جامع، ومن خلال الانخراط في المسيحية كتنظيم نضالي يقوم على رفض آليات الهيمنة الرومانية بدءاً برفض ايديولوجيا تأليه القياصرة الرومان، ومن خلال هذا الانتماء كان يتم تبني الايمان بالغيبيات والماورائيات الدينية المسيحية، كبديل ونقيض للمعتقدات الرومانية ومن ثم اليهودية.

وكان ظهور المسيحية الشرقية أول رد فعل إنساني مضاد للانتصار «العسكري . السياسي . الأخلاقي!!!»، «الروماني . اليهودي»، على شعوب المنطقة، بعد تدمير قرطاجة وغزو مصر وسوريا الطبيعية وغيرهما.

ولكن روما، وبالتعاون التام مع الطغمة العليا اليهودية، عملت على سحق المسيحية الشرقية، من جهة، ومن ثم على مصادرة المسيحية وتغليفها بغلاف ديني مشوّه وتغريبها وتحويلها الى وسيلة سلطوية تطويعية بيد الامبراطورية الرومانية، من جهة ثانية. وهكذا تم نقل مركز المسيحية من الشرق وتحديداً من فلسطين، إلى الغرب وتحديداً الى روما ذاتها.

إن الثقافة السائدة، والمنطلقة اصلاً، بالبعد التاريخي، من الثقافة الاستعمارية الرومانية التي اخذت بها الدول والانظمة ما بعد انهيار الامبراطورية الرومانية، . هذه الثقافة طرحت اطروحة خاطئة، تنطلق أساساً من المصالح الاستعمارية للامبراطورية الرومانية كما ومن المصالح الامبريالية والصهيونية في عصرنا، وتقول هذه الثقافة بأن المسيحية هي ظاهرة دينية . سماوية وحسب، ظهرت بظهور السيد المسيح. ومع الاعتراف التام بالدور الكبير الذي يمثله ظهور السيد المسيح الذي يمثل «نقلة نوعية» او «طفرة نوعية» في تاريخ المسيحية، فإن الدراسة المعمّقة لتاريخ الشرق خصوصاً، وعلاقة الشرق والغرب عموماً، تبين ان المسيحية (كحركة دعوة وتنظيم دينية . فكرية . سياسية . اجتماعية) بدأت بالظهور قبل ظهور السيد المسيح بعشرات وربما مئات السنين. وهذه الحركة هي التي استقبلت ميلاد السيد المسيح، وحمت العائلة المقدسة لدى فرارها من وجه الرومان واليهود. وذلك لا ينفي بل يؤكد طبعاً أن ظهور السيد المسيح مثّل نقطة تحول كبرى في تاريخ المسيحية.

وقد ظهرت الحركة المسيحية، قبل ظهور السيد المسيح، في معمعان صراع شعوب الشرق المتحضر ضد جميع اشكال الظلم والاستبداد والعبودية والاستغلال، وبالأخص ضد وحشية الاستعمار الروماني للشرق، الذي ترافق مع، وكان سبباً رئيسياً في، تعميم النظام العبودي على أنقاض النظام المشاعي البدائي. وذلك خصوصاً بعد هزيمة قرطاجة وتدميرها على يد الغزاة الرومان ثم غزوهم للبلقان ومصر وسائر المشرق. وقد اتخذت عملية الصراع ضد الاستعمار الروماني الوحشي اشكالاً كفاحية وفكرية واخلاقية مختلفة، اهمها ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس التراقي في 71 ق.م.، وانتشار الفلسفة الرواقية التي وضع اسسها الفيلسوف الاغريقي من اصل فينيقي زينون (334 ق.م. . 262 ق.م.)، ويُسمى «زينون الرواقي» و«زينون الفينيقي». وكانت الرواقية تدعو الى العدل وتحرير العبيد والمساواة بين الناس والشعوب وتطبيق الاخلاق في الحياة العامة. وتلازم انتشار الرواقية مع انتشار الدعوة المسيحية، التي كانت تدعو الى خلاص البشرية من العبودية والاستغلال والتمييز الطبقي والعنصري والقومي والى حتمية ظهور المخلص بشخص المسيح. وبظهور السيد المسيح انفجر الصراع بين الحركة المسيحية والسلطة الرومانية ووقفت الطغمة اليهودية العليا الفاسدة (التي كانت تدعو الى ظهور «مسيحها» الخاص كملك قوي يجعل اليهود أسياد العالم)، . وقفت الى جانب السلطة الرومانية، ضد الجماهير اليهودية البسيطة التي تبنت الدعوة المسيحية وتخلت عن التفسير اليهودي المنحرف لمجيء السيد المسيح. وقد عملت السلطة الرومانية، ومعها الطغمة العليا اليهودية، على طمس الحقيقة التاريخية لظهور المسيحية المناضلة ضد الامبراطورية الرومانية. ومن ثم عملت السلطة الرومانية، ووريثتها السلطة البيزنطية الموالية لروما والنهج الاستعماري الروماني، . عملت على اضطهاد المسيحية الشرقية المناضلة، ومن ثم «تبني» المسيحية بعد تفريغها من محتواها الكفاحي وتجريدها «سماوياً»، وتحويلها الى دين للدولة الاستعمارية، وإضفاء الطابع اليهودي والغربي عليها وأخيراً مصادرتها وجعل المقر العالمي المركزي للمسيحية في روما ذاتها، التي سبق لها وصلبت السيد المسيح. وفي عملية هذا النقل ذاته يوجد تبرير، او على الأقل تخفيف، لجريمة صلب السيد المسيح.

وللاسف ان السلطات الاستبدادية غير العربية والعربية العميلة التي حكمت الشرق العربي باسم الإسلام، من المماليك الى العثمانيين والى الحكام العرب الحاليين «الإسلاميين» المزيفين، قد تبنوا النظرة «الرومانية» الغربية الى المسيحية الشرقية، لتبرير اضطهادها لمصلحة الانظمة والاتجاهات الاستبدادية العميلة للاستعمار الغربي والصهيونية، في الجوهر، و«الإسلامية» المزيفة، في المظهر.

سعيد سرحان: ارتباط اسمي بقناة الجزيرة انفصام شخصية

• حاوره : فراس الهكار

◗ الممثّل اللّبناني سعيد سرحان، عشق التمثيل مذ كان طفلاً صغيراً، وكان متابعاً للأعمال المسرحية والأفلام السينمائية والدراما التلفزيونية.
علاماته العالية أهّلته ليدرس في فرع الهندسة الميكانيكية وأبى إلا أن يتابع العمل على موهبته، بعد عامٍ من دراسة الهندسة وجد نفسه في التمثيل، فترك الهندسة وتابع دراسته في المجال الذي يعشقه.
برع سرحان على خشبة المسرح، عشق وأعطى، شارك في أعمال مسرحية عديدة نالت استحسان الجمهور، ثم انتقل من المسرح إلى التقديم التلفزيوني.
عاد إلى لبنان بعد سنوات من الغربة ليصنع لنفسه مساحةً تليق به، مدفوعاً بطموحه لتحقيق النجاح، وباحثاً عن ذاته في أعمالٍ تلائم روحَه.
آخر ظهور للفنان سعيد سرحان كان ضمن العمل الدرامي الضخم (قيامة البنادق) الذي يؤرّخ حقبة تاريخية مرَّ بها لبنان.
«تحولات» التقت الفنان سعيد سرحان وكان معه هذا الحوار.

• من أنت، وماذا تحدثنا عن البدايات؟
• اسمي سعيد سرحان، خريج الجامعة اللبنانية قسم المسرح والتمثيل العام 2002، بدأت العمل في المسرح وقدّمت أعمال مسرحية عدة مع الأستاذ عصام بو خالد من خلال أعماله التي تُعتبر (بلاك كوميديا) عبر نصوص لها علاقة بالحروب، وكان العمل المسرحي الأول في العام 2004 والذي حمل اسم (ماش) كان له علاقة بالغزو الأميركي للعراق العام 2003، وقد حظي بنجاح كبير في لبنان ثم عُرض في ميلانو وباريس حوالي 12 مرة، وتم عرضه في مهرجان قرطاج وفي دولة الإمارات العربية المتحدة. وأُعيد عرضه في باريس العام 2006 وفي لبنان شاءت الصدفة أن يُعرَض قبل حرب تموز بأيام. شاركتُ بعمل آخر في العام 2009 مع الأستاذ عصام بو خالد وحمل اسم (بنفسجة) وقد جاء رداً على العدوان الإسرائيلي على غزة في العام 2008، وهو مسرحية تحكي عن صاروخ يستهدف فوق بناء فيه مدنيون ويُحوَله إلى مقبرة جماعية. كما شاركتُ في فيلم سينمائي باسم (فلافل)، وبدأت العمل في قناة الجزيرة أطفال وقدمت برنامج (الدرب) الذي استمر حوالي 5 سنوات ولاقى نجاحاً كبيراً ونال جائزة في مهرجان كان. تعاقدتُ مع شركة (زودياك ميديا كروب) العام 2010 وأنتجنا برنامجاً لقناة الجزيرة أطفال بعنوان (برج الجرس) الذي ما زال يُعرض حتى الآن.

• أين أنت من الدراما التلفزيونية؟
• صراحةً عملت في الدراما للمرّة الأولى هذا الموسم في العمل الدرامي الضخم (قيامة البنادق) مع مركز بيروت الدولي، وهو عمل تاريخي من الأعمال الصّعبة وأعتقد أنه سيكون عتبةً لتقدّم الدراما التلفزيونية في لبنان. العمل مشترك لبناني سوري فلسطيني وهذا يضع الفنان أمام مسؤوليات كبيرة أهمها أنك تقف أمام فنانين كبار، في عمل يعبر عن حقبة تاريخية مهمة مرّ بها لبنان.

• أدّيت أنماطاً مختلفة من الأعمال خلال فترة زمنية قصيرة بين المسرح والدراما والتقديم التلفزيوني والسينما، أين وجدت نفسك أكثر؟
• كلّ شيء له خصوصيته ويتميز بنكهته الخاصة، لا يمكنني أن أقارن تجربة الدراما بتجربة السينما أو المسرح مثلاً. فجمالية المسرح أن يواجه الفنان الجمهور مباشرة وخاصة في المسرح التجريبي من خلال التعاطي مع الممثلين أو الجمهور أو مع الفكرة بحد ذاتها، وتحديداً العمل مع عصام بو خالد حيث لا يوجد نص مسبق بل توجد فكرة. في السينما تجد المتعة في المشهد فلا يوجد قطع للإحساس كما في التلفزيون، أقصد أن ليس هناك قطع لأخذ لقطة من زاوية أخرى. وهذا موجود في الدراما، كما يلعب النص الدرامي والدور المؤدى والعمل مع قامات مثل المخرج سامر رضوان ومركز بيروت الدولي دوراً يجعل الفنان يستفيد من تعاطي المخرج معه، فهناك إدارة للممثل بعكس ما اعتدناه في الدراما اللبنانية حيث يضطر الفنان لأداء مشاهده وحيداً، ولا يوجد حس فني بل يوجد تركيز على الإضاءة واللون فقط. وفي النهاية أفضّل المسرح والسينما والأعمال الدرامية التي تُعد هادفة.

• «قيامة البنادق» عملك الدرامي الأول، هنا لا بد من الحذر نوعاً ما كظهور أول على جمهور التلفزيون وهي مغامرة أو مسؤولية كبيرة، كيف تعاملت معها؟
• نعم كلّ شيء مغامرة، أي عمل هو مغامرة، ولكن بالنسبة لمن يعمل في المسرح يكون تواصله مع الجمهور طبيعياً وقد تخطى هذه المرحلة؛ مرحلة الخوف، ولم يكن هناك خوف من أن يتقبلني الجمهور أو لا، بل كان خوفي هو هل سأعطي هذه الشخصية حقها أم لا؟ وحتى الآن ردود الفعل جيدة بالنسبة لدوري في «قيامة البنادق» ولمسناها بشهادة كثير من الفنانين وعلى رأسهم الفنان أحمد الزين الذي أدّينا أنا وهو أغلب المشاهد وقد شجّعني كثيراً وأبدى إعجابه بهذه الطاقة، حسب وصفه.

• الدراما اللبنانية تعاني أو يمكننا القول إنه لا توجد دراما لبنانية حقيقية، ولا يمكننا أن نتجاهل التطور الملحوظ خلال السنتين الأخيرتين، برأيك هل كان للدراما السورية دورها في ذلك؟
• لا شك طبعاً هذه من المسلمات، وتُحسب لمركز بيروت أنه كان فاتحة التعاون وهو الذي أنتج «زمن البرغوث» بالاشتراك مع شركة سورية وصولاً إلى «قيامة البنادق»، والدراما السورية هي الأهم في العالم العربي وكان هناك محاولات لبنانية محدودة لخلق حالة تعاون واستطاع مركز بيروت أن يرسخ هذه الحالة وينتج (الغالبون) واستمر التعاون حتى اندلعت الأزمة السورية وانتقلت الخبرات السورية إلى لبنان، واستفدنا كثيراً، إن كان من ناحية ترجمة النص بالشكل الأنسب على الشاشة وإن كان من خلال إدارة التصوير وصولاً إلى الصورة والإخراج، «قيامة البنادق» نحن نتحدث عن عمل تاريخي ضخم غير مسبوق في لبنان إذا ما استثنينا «باب إدريس» الذي لم يرتق إلى هذا الحجم، وهذا التعاون السوري اللبناني هو الذي أنجز عملاً ضخماً لاقى نجاحاً كبيراً.

• عملت في قناة الجزيرة، وفي إطار العقد الموقع بينكما هل كان من الممكن أن تعمل بشيء مخالف لمبادئك؟
• لأنه لا يمكنني أن أعمل شيئاً مخالفاً لمبادئي تركت الجزيرة في عام في 2010، ومع أنني كنت في قناة الجزيرة أطفال وهي لا شأن لها في السياسة، ولكن مجرد ارتباط اسمي باسم قناة الجزيرة في تلك الفترة ولّد عندي نوعاً من انفصام الشخصية، ولم أستطع رغم العرض المغري إلا أن أرفض. وكانت كيفية تعاطي الجزيرة مع ما أسمته الربيع العربي السبب الأكبر في ترك العمل مع قناة الجزيرة.

• أيهما أهم عندك الرسالة الفنية أم المردود المالي، أعني هل من الممكن أن تقدّم دوراً لا يناسبك من أجل المال؟
• أكيد لا، لا يعنيني المال بقدر ما تعنيني رسالتي الفنية، وعُرضت علي أعمال كثيرة بعد «قيامة البنادق» إلا أنني رفضتها ولم أؤمن بواقعيتها أو رسالتها الإنسانية، وربما كان فيها سبيل للشهرة السريعة والمزيد من المال، فأن أكون جزءاً من عمل مثل «قيامة البنادق» يضعني أمام مسؤوليات كبيرة وهي أن أسعى للأفضل دائماً عبر ما أقدمه.

• معظم الفنانين يتناسون المسرح بعد وصولهم للشاشة الفضية، أين أنت من المسرح بعد سطوع نجمك في التلفزيون؟
• المسرح له الجزء الأكبر من وقتي دائماً، ونحن الآن نحضر لعمل مسرحي جديد مع الأستاذ المخرج عصام بو خالد وستستمر عروضه سنوات، فالمسرح له أهميته الكبيرة، من الممكن أن يأخذني الانشغال قليلاً، أما أن تأخذني النجومية، فلا، يستحيل ذلك حتى مادياً، لا يُمكن أن تأخذني الدراما من المسرح لأنني أعشق المسرح الذي يُعد أبا الفنون.

• مسرح البساط الذي يقدم في الشارع ما رأيك فيه هل يمكن أن تقدم عملاً مسرحياً في أحد شوارع بيروت؟
• من اللافت أن تسألني هذا السؤال لأن أولى تجاربي في الحقيقة كانت عروضاً ايمائية على كورنيش المنارة، وقدّمنا عروضاً مسرحية في اليوبيل الذهبي لجريدة السفير، لا تستطيع أن تقيد نفسك بخشبة المسرح. أنت تستطيع أن تقدم عملك في المكان الأنسب له.◖

«آخر رسائلي» لنسرين... علامة استفزاز في تجاعيد وجهها

• **لويس الحايك**

بعد اختمار العناقيد عادت الأطياب إلينا عبر الأثير برسائل توهم انها آخر الرسائل وقد ظهرت بخطوط تكمل ثورة تحدّيها باحتراف جديد ابتكرته ولم تعرفه طباعة الكتب من قبل. فهي لم تنقل خطوطها كما هي، فحسب بل ابتكرت لها صياغة شبيهة بالصياغة المسرحية للشعر التي هي من ابتكاراتها ايضاً.

«آخر رسائلي»، بغلافه الأنيق لا تظهر تجاعيده على أوراقه الصفراء، فداخله يحمل وجهاً جديداً للتمرد بعنفوان المرأة المعذبة الصامدة بكبريائها. هذه هي نسرين كتلة نار يلفها الصقيع فتنسج من وحشتها وشاحاً يغطي عريها وترتدي ذاتها معطفاً يختفي العدم في دفئه.

وتمردها الجديد لا تحدُّه علامات في الارض ولا في الفضاء، لأنه تمرّد بالمطلق موزّع في مطارح حميمة وفي الصمت، وفي الظل الهارب في العراء.

أفكار مشبعة بالرموز ندر طرحها في ديوان شاعرة من الطليقات الواعدات. فرموزها تنساب في صفائها كقطرات شلال يهويك رذاذه وينعشك حتى اثناء هبوب عاصفة. وهي حريصة كل الحرص على ان تأتي عباراتها سليمة فلا تقول تحممت بدموعكَ، بل قالت استحممت على الرغم من أنف نعيمة في دفاعه عن جبران. حتى الكلمة العربية المبتكرة التي لا تتناغم مع الوقع المسرحي الموسيقي الفضفاض فإنها تهملها لتلجأ الى الأفضل

منها وقعاً فتكتب:

(هل حاولتُ يوماً ترداد هذه الكلمات). فالترداد وجدته أطرب وقعاً على اذنها من الترديد الذي حرصت أن تبقيه بين قوسين، لأنه فصيح سليم ايضاً. وعندما تبحث في الأنا مع الربيع الحزين المجروح وأزهار تنبت في الخريف وفي انقلاب المقاييس والأعراف وتمجيد الخالق لكل ما هو معطى وممنوح ومع الأزهار البرية والوديان والسواقي. تثير انتباه القارئ بشطب الوديان المحكية بعد أن ترفع فوقها كلمة (الأودية) بالفصحى قبل أن تكمل معزوفتها وتقول:

إنه الحب. الحب قولبها وجعلها امرأة. هكذا تشد القارئ بغريب المفاجآت وهي توشّح كتابها بأقفاص تأسر فيها الكلمات كأنها تخاف أن تفلت منها. وتوشّيها بالعلامات وبرسوم تبحث عن ملامح غريبة ضائعة بين مدادها ووريقاتها الصفراء: ملامح أكلها الصدأ / وفي العراء هائمٌ يبحث عن كفن.. / لأن شبح الموت لن يغيب ولن يوقف دورانه.

نسرين التي تبدو أكثر عنفاً في ديوانها «زمن العناقيد» نجدها تسرّب نقمتها في «رسائلها» بردّات فعل توهم بضعف الأنثى واستجدائها واحياناً بالبكاء الصامت والنحيب. فالتجاعيد. تجاعيد الزمن هي :

دموع امرأة / مختبئة وراء وجهها الشاحب / تجرُّ ايامها / تتكلّم موتها / تمشي مثواها الأخير /

تلملم انوثتها كل صباح / توضّب رجولته... / تكويها سترة... / تحضرها قهوة...

هذا الإيهام، وإن خدّرته سهام الحب، نجده يصمد بالهرب مع العاصفة حتى ابعد الحدود:

تركض الأرض / تهرب / ترقص ثم تسجد لبهاء سكينة عينيكَ / أحبُّكَ حجارة عتيقة / من عصر الفينيق / تحملُ عنقها /... نطق قلمي حروفاً خرساء../ ـ درب الهرب خرساء ..

وهل نسأل كيف سرّبت الشاعرة رسالتها الى الرجل الشرقي «المتربع على عرش الأنانية والتسلط» وكيف تعاقبه بتشويه صورته في المرآة المهشمة وتقمّصه بصراخ «امرأة معذبة» محرّمٌ عليها أن تحرق الألم في داخلها والألم إذ يستجيب لصراخه في ارتداد مريب. يتطاير اشلاءً ويعلو دخانه ليصل «الى قمّة الكون». فأنت ايتها الأنثى المعذبة» ممنوع ان تثور فيك كل النساء النائمات.. اخفضي صوتكِ / ستوقظين عنترة... / وكل رجل شرقي {عتعيت} متربِّعَ على عرش الأنانية والتسلط / اخفضي صوتك يا امرأة عربيّة / وابكي جنسك على فراشك «بِصَمْتْ». واذا زرعت بذاراً في رحمك عليك أن تموتي «بهدوء» كي تحييه لأنك لست مثله جديرة بالحياة.

وفي وداع عذابها تجد مركبها الامين في حزن عينيه يحملها بلا أشرعة الى بلاد لم تُكتشف بعد.

رسائل تجاعيدها زئبقية اللون والملمس. والكتاب بدفتيه يأخذك في سرابية الفضاء ومطبّاته. والحزن وحده وبوجوهه المتعددة يشكّل اللحمة والسدى لكتابها لأنه يشبك بين رسومه وشاراته وتعرجاته وتنوع عباراته وتشطيباته (شطائبه). انه لون جديد قلب الطاولة على اصول الكتابة والطباعة لشاعرة أتقنت لغتها وعرفت أسرار لعبتها فسخّرت لها مخزوناً ثقافياً صقلته وطوّرته بتجاربها وبممارسة مهاراتها على خشبة المسرح. ثمّ خطت خطواتها بجرأة وتحدٍّ واستفزاز بالكتابة والرسم وكل فنٍّ من الفنون الجميلة تطاله يدها. ومع التمرد وحكايتها مع تأنيث الكلمات والعبارات فحدث ولا حرج. فبعد هبوب رياح الخمسين وهي جالسة على كرسي فارغ في المقهى / وحيدةً أتتْ ووحيدةً تمضي / لأنها تحولت الى لقمة سائغة ابتلعتها الاساطير. هي ذاتها. شجرة الزيتون الأصيلة. الفرس العربية الأصيلة. الجمع المؤنث السالم. هذا الجمع العظيم بأية طينة جُبل؟ وبأي يد عظيمة جُمع؟

ومهما تجنّى هذا الجمع على الذكورة. فإن الحبّ. وحده الحبّ. مؤهلٌ أن يجعلها امرأة.

سمبوزيوم عمشيت الثاني للنحت والرسم يرسو بأعماله على الكورنيش البحري

أنجز سمبوزيوم عمشيت الثاني للنحت والرسم أعماله مطلع آب الماضي، وانضمت عشر منحوتات ضخمة وجديدة إلى شقيقاتها السابقات من السمبوزيوم الأول العام 2011 التي زينت كورنيشاً بحرياً تقوم بإنشائه بلدية المدينة وتعده ليكون موقعاً سياحياً هاماً من حيث الإنشاء والتجهيز.

كانت الإضاءة ساطعة على الكورنيش، مسافة أربعين كيلومتراً إلى الشمال من بيروت، كاشفة عن المنحوتات الجديدة، في حضور سفراء الدول التي أتى النحاتون منها، وجمهور حاشد، فاطلعوا على الأعمال، وكذلك على اللوحات التشكيلية التي ركنت في ما يشبه الخيمة التي تحميها من ملوحة البحر، ورطوبته. وأقيم حفل جرى فيه تسليم دروع التكريم للفنانين.

المنظمون

ويثني النحات بيار كرم – منظم السمبوزيوم – على تطور الاهتمام بالنحت في لبنان، «رغم ضعف التجارب النحتية فيه» كما يقول، مضيفاً إن «هناك العديد من الساعين للانضمام لنادي النحت، يعملون لكن انطلاقاً من تجارب حرفية أكثر منها تجارب أكاديمية مما يجعل

النحت محلياً دون المستوى الراقي في العديد من دول العالم».

كرم، المتخرج من جامعات أوكرانيا للنحت، ميّز بين الأعمال التي يقوم بها أي فنان، و أعمال السمبوزيوم. هناك، يعمل النحات على نحت أعماله بشروطه الخاصة، وبما يريحه ويتسع له من وقت، لكن القدرة الفنية لأي نحات تختبر فعلياً على الأرض، فأمام النحات عشرة أيام فقط وعليه أن ينجز فيها منحوتة ضخمة لا يستطيع تحقيقها إلا البارعون المحترفون».

ويتابع: «لذلك، علينا أن نختار الفنانين قبل إطلاق السمبوزيوم، ونستدرج العروض عبر وسائل الاتصال الالكترونية، أو أي وسيلة أخرى، وقد استلمنا نحو عشرين عرضاً لهذا العام، لكن اخترنا منها فقط عشرة مشاريع أعمال».

ويفيد كرم أنه «بعد نجاح السمبوزيوم الأول، أعدنا التجربة بطريقة أنجح في ضوء الخبرة التي اكتسبناها سابقاً. عندنا عشرة نحاتين وأربعة رسامين من دول مختلفة».

النحاتون

ذات ظهيرة، كانت أصوات الطرق من جهة، وآلات النحت الحديثة، تعمل تقطيعاً، وبتراً لزوائد الصخور، فيعبق الجو بغبار الصخور الكلسية التي جيء بها من جبال لبنان. زوائد تغطي الصورة الحقيقية التي تخيلها الفنان في عقله لعمله، انكب كل فنان على صخرته يزيلها كما يبحث عن ضالته في داخل الصخرة، لا يوفر وسيلة إلا ويستخدمها وصولاً إلى مبتغاه. هذا ينحت وجهاً كلاسيكياً لرجل يذكّر بالرومان، وذاك يستلهم منحوتات ربات الحسن القدامى محاولاً إعادة انتاجها بطريقته الخاصة، وثمة من نحت أشكالاً تجريدية تاركاً للمشاهد إدراك المغزى الذي تختزنه.

النحاتون المختارون لتحدي السباق هم:

الإيطالي أدريانو سيارلا، متخرج من إحدى أهم المدن التي تضم أجمل المنحوتات الكلاسيكية، وهي نابولي، حيث تناول دراسة النحت في معهد المدينة للفنون. ثم انتقل لدراسة النحت الخشبي (الحفر).

اللبناني بيار كرم، منظم السمبوزيوم، متخرج من جامعة أوكرانيا للفنون الجميلة، ونال الماسترز في النحت بعد انتهاء دراسته لسبع سنوات من جامعة كييف 1992.

الأرجنتينية ماريا ترينيداد كامينوس، متخرجة من الأكاديمية الفنية لجامعة قرطبة، منحوتاتها تزين مواقع وساحات عدة في دول العالم مثل الأرجنتين، وتشيلي، والمكسيك، وإيطاليا، ولبنان وتركيا.

اليوناني ميشال فوزونيراكيس، درس نحت الرخام في إحدى جزر بلاده، وشارك في معارض عالمية عدة.

اللبنانية تمينة سعادة، متخرجة من معهد الفنون في جامعة الكسليك اللبنانية، تدرس التربية الفنية، وشاركت في معارض عدة في لبنان والخارج. أدخلت فكرة تطعيم النحت بالموزاييك.

الأكوادوري ماريو تابيا، تخرج في التصوير من إحدى الجامعات المتخصصة في الاكوادور، ثم انتقل إلى إيطاليا لدراسة النحت في أكاديمية الفنون الجميلة في كارارا الإيطالية. حائز على جوائز عالمية عدة.

الأرميني آمين بتروسيان، عضو الاتحاد الأرميني للفنون في يريفان، يدرس مادة النحت في عدد من معاهد بلاده، ومشارك في معارض دولية كثيرة.

الأوكراني ميخاليو غولوفيي، متخرج من أكاديمية أوكرانيا للفنون الجميلة وله مشاركات في معارض دولية متعددة.

الأرميني هايك توكماجيان، تخرج من معاهد بلاده للفنون الجميلة، عضو اتحاد الفنانين الأرمينيين، مشارك في معارض عالمية متنوعة.

السوري الياس نعمان، بعد نيله شهادة الفن من جامعة دمشق، انتقل إلى جامعة كارارا الإيطالية وتخرج منها بنتيجة عالية. يقيم في كارار ويعمل فيها، شارك في معارض دولية في إيطاليا وألمانيا والبرازيل والأرجنتين.

نعمان آثر القول: إن أهمية المعرض تكمن في تفاعل التيارات الفنية المختلفة فيه، وبين حضارات الشعوب، ويقول إنه رغم أننا نعمل في مراكز فنية عالمية هامة، إلا أن قدومنا إلى هنا، وتعايشنا مع بعض يجعلاننا نتفاعل ونطلع كل على فنون الآخر وثقافته الفنية، وهذا دور مهم للسمبوزيوم».

نظرة وتشكيل

يتميز السمبوزيوم بضخامة الأعمال، ومن الواضح أنه جرى التركيز على النوعية، أما الأسلوب فيتراوح بين التجريدي والانطباعي التعبيري، والكلاسيكي النهضوي مع بعض تحديث. ويعلق كرم بقوله «إنه متنوع الاتجاهات رغم أننا لا نحبذ التجريد كثيراً، لكن اخترنا بعض الأعمال التجريدية المقنعة، وهو على مستوى راق وفني».

السمبوزيوم هذا العام أرقى فنياً، والعدد ذاته كما في سابقه، أي عشرة أعمال. برأي كرم أن «الأعمال الفنية النحتية لم يعد لها هوية بلد محددة، أو تتبع لمدرسة معينة، فربما تجد في بلد ما كل أصناف وتيارات النحت، وليس هناك من خصوصية نحت لبلد معين، خصوصاً بعد الانفتاح الواسع للعالم على بعضه. يعود لكل نحات أسلوب خاص، والمدارس متداخلة».

عندنا نحاتين عديدون، ويبرز كل فترة جديد منهم، وهناك تأثير من الأحداث والتطورات على الحركة.

تمينة سعادة، فنانة لبنانية تشتغل في النحت الذي أدخلت عليه فكرة تطعيمه بالموزاييك، وهي مسؤولة عن الرسم والموزاييك في السمبوزيوم، قالت: «عندنا اربعة رسامين من بلغاريا وبيلاروسيا وأرمينيا، وروسيا. هم من المستوى الجيد، ويتميز كل منهم بطريقة خاصة، وقد نفذوا أعمالهم في مركز «ذاكرة عمشيت».

يغلب على الأعمال الطابع الانطباعي، مع بعض رمزية، ولوحات ذات موضوعات تراثية.

الرسامون هم: الأرميني سورين خورينيان، والبيلاروسية أوكسانا أفدوكيمنكو، والبلغاري بيتر ميتشيف، والروسي ديمتري زاروف.

استمرت أعمال السمبوزيوم بين 15 تموز (يوليو) والرابع من آب 2013.

صراع الذّات والذّاكرة عند الفرد الفسطيني في «مفتاح لنجوى» لفاتن المر

• منير حايك

قد لا تكون المسألة الفلسطينية هي ما يصبو المرء في زمننا هذا إلى الكلام فيه، وقد يكون الكلام الذي قيل فيها بات مستهلَكاً ومملاً إلى حدّ النّفور من تكرار الكلام عينه كل يوم وكل مناسبة. إلاّ أنّ ما هو مؤكّد أنّ هذه المسألة لا تزال بحاجة ماسّة إلى الانهماك في النضال من أجلها للوصول إلى مقاربتها على حقيقتها، ليس في العالم فحسب، بل في العالم العربي حيث ما يزال التفكير فيها مشوّشاً ومشوّهاً إلى أبعد الحدود. فالمقاربات السائدة، أو التي سادت، قد أخذت بنتيجة التقادم ومرور السنوات تتشعّب لتشمل تفاصيل كثيرة قد يعجز المرء عن الإلمام بها كلها، أو عن النظر بنحو كليّ نحوها، وهذا ما يدفع بالتالي إلى البحث في التفاصيل والاقتصار عليها، الأمر الذي يؤدّي إلى التّشتّت عن المسألة المركزيّة والابتعاد عن اتخاذ الموقف الذي يعتمد على مشهد «يريك الكثرة في العين الواحدة»، انطلاقاً من مقولة ابن عربي الشهيرة من هذا المنطلق تطرح نفسها أمامنا إشكاليّة: الصراع الفلسطيني وكيفية المحافظة على وجوده هويةً وكياناً، في ظل ما يحيط بهذا الوجود من تهديدات...

بناءً على ذلك كان اختياري للتّطرّق إلى صراع الذّات والذّاكرة في الفرد الفسطيني من خلال دراسة الفضاء في رواية «مفتاح لنجوى» للكاتبة فاتن المر. انطلاقاً من كون الرواية ترتبط مباشرة بواقع المخيمات وما فيه من بؤس على الصّعيد المعيشيّ والصّحيّ والتّعليميّ، وحتى على صعيد الطّموح الشّخصيّ... وسط الانقسامات التي تملأ المجتمع الضيّق للمخيم، والانحرافات التي تأتيه بنتيجة مؤثّرات داخليّة وخارجيّة. وذلك من دون أن يشكّل ذلك عامل انفصالٍ أو نسيانٍ للمسألة المركزيّة المتعلّقة بحقّ العودة واستعادة الأرض...

ولا يمكن للباحث في هذا السّياق إلاّ أن يلتفت إلى عاملٍ مهمٍّ في بحث هذه الرواية، ألا وهو ربط الإشكاليّات التي يطرحها الكتاب بتطوّرات العصر الحاضر وأفكاره، إيجابيّها وسلبيّها، ومنها الدّخول في عملية تناوب الصّوت الرّوائي باستخدام واقع تقنيات العصر في التّواصل، إلى جانب المحادثات الالكترونيّة التي تقدّم آليّةً جديدةً يفيد منها الحوار... ولا يخفى ما لهذا الجانب من تحدٍّ للباحث والقارئ على السّواء...

انطلاقاً من ذلك، يمكن أن يشكّل بحثنا هذا إضاءةً مكمّلةً لجانب محوريٍّ من جوانب المعاناة الفلسطينيّة ومن تطلّعات أفرادها، المتوازية مع البعد الجّغرافيّ والزّمنيّ عن الأرض – الأمّ.

رمزيّة المفتاح والإبداع في تشكّل السّياق

من خلال التمعّن في العنوان، نلاحظ أنّه يتضمّن مكوّنين اثنين. الأوّل بينهما هو كلمة «مفتاح»، مع ما يثيره هذا العنوان من معانٍ مواكبةٍ له، فالمفتاح يقتضي حضور الباب الذي يحضر في حالين هما الفتح والإغلاق، كما يقتضي حضور المسكن. وبالتّالي، فإنّه يتّخذ قيمةً كبرى في السّياق الطّبيعيّ للحياة الإنسانيّة فرديّاً واجتماعيّاً، فهو العنصر المحوريّ الذي يثبّت ملكيّة الفرد لهذا المسكن، والاحتفاظ بذاك المفتاح يعني الاحتفاظ به. وهذا ما يجعل منه حالاً مخيِّمةً على مسألةٍ بأكملها، وأعني المسألة الفلسطينيّة. من هذا المنطلق، كان المفتاح رمزاً من رموز العودة إلى ما يمتلكه الفلسطينيّ من أرضٍ وبيتٍ وغيرهما، وكذلك كان رمزاً من رموز مقاومته لحالٍ التّشتّت والتّآمر وضغوط النّسيان...

أمّا أن يكون هذا المفتاح مخصّصاً لنجوى، فإنّ ذلك يفسح لنا في المجال أمام دلالات عدّة يمكن أن تضيء حقيقة السّياق الرّوائيّ. فهو يوحي بأنّ الشّخصيّة الرّئيسيّة ستكون «نجوى» التي تقدّم لنا بعدين دلاليّين: الأوّل يتعلّق بمعنى الاسم الذي يحمل عناصر المناجاة والحوار الباطنيّ وما يستتبع ذلك من إخفاء صراعٍ داخليّ من نوعٍ ما. في حين أنّ البعد الآخر يشير إلى طبيعة هذه الشّخصيّة بوصفها امرأةً، وهو الأمر الذي يشير إلى زاوية رؤيةٍ قد تكون مختلفةً حول الحياة لأنّها تنطلق من منطلقٍ أنثويّ. وبناءً عليه يصبح العنوان علامةً دلاليّةً عميقةً توجّه أبصارنا نحو رؤيةٍ ترتبط بامرأةٍ فلسطينيّةٍ قد قرّرت حمل مفتاحها لمقاومة ما عانى منه شعبها.

هذه الدّلالة التي يحيلنا إليها العنوان تقودنا بشكلٍ مباشرٍ إلى السّياق الرّوائيّ وكيفيّة تشكّله، فـ«مفتاح لنجوى» تروي قصّة فتاة اسمها نجوى من خلال علاقة صداقة تظهر عبر التّواصل الافتراضيّ بشخصيّةٍ أخرى تدعى دارين، تنتمي كلّ منهما إلى وسط مختلفٍ عن الأخرى، لا بل يكاد يكون نقيضاً للوسط الآخر. فنجوى ابنة مخيّم شاتيلا الذي يمثّل مخيّمات الشّتات بكل ما تتضمّنه من بؤسٍ وفقرٍ وفقدانٍ للحدّ الأدنى من المواصفات الصّحيّة وعوامل السّلامة والرّاحة والأمان عناصر تحقيق الذّات والطّموح، حيث شكّل نادي «غدنا» للفنون المتنفّس الوحيد لها؛ بينما تنحدر دارين من بيئةٍ مدينيّة يطغى عليها نوع من الرّفاهيّة والرّاحة والخلوّ من أيّ وجهٍ من وجوه المعاناة، أو بالأحرى الابتعاد عنها، في ظلّ تفكيرٍ طائفيٍّ وطبقيٍّ حادّ.

سرعان ما تظهر طبيعة العلاقة بينهما، وهي علاقة دراسيّة أخذت تتطوّر بعد معرفة دارين لعلاقة الحبّ التي جمعت عمّتها «رندة» برجلٍ فلسطينيٍّ يدعى «الدكتور غسّان الخطيب»، إذ تكون قد طلبت منها عمّتها التي تفاقم مرضها الخبيث أن تبحث لها عن هذه الشّخصيّة لتعطيها الرّسائل الخاصّة بها ولتحاول التّفتيش عن نهايةٍ سعيدةٍ لقصّتها. فتعمل نجوى على مساعدة صديقتها التي أبدت تعاطفاً شديداً مع المعاناة الفلسطينيّة، ليتّضح لنا أنّ دارين تعود بجذورها إلى عائلةٍ مسيحيّةٍ فلسطينيّة الأصل سعى أهلها إلى قطع الرّوابط مع منبتها. أمّا نجوى فيظهر أمامنا صراعها الحادّ مع محيطها الذي سعت إلى الانفصال عنه بأيّة وسيلةٍ ممكنة، نظراً لما تعيشه من طمسٍ للحرّيّة الفرديّة، ومن محاصرةٍ للطّموحات وتقويضٍ لها، فضلاً عن الرّضوخ المستمرّ لحال المعاناة، وهو الأمر الذي شكّل لديها عقليّة الخروج عن حدود المخيّم وعن معاييره.

تتواصل الرّواية من خلال عمليّة البحث عن حبيب العمّة رندة من دون جدوى، في حين يترافق ذلك مع معاناة تمرّ بها نجوى، منها مقتل أخيها الذي كان عنصراً في جماعة «فتح الإسلام»، في مخيّم نهر البارد؛ وموت جارها أثناء محاولة دخوله غير الشّرعيّة إلى أوروبا عبر تركيا في محاولةٍ يائسةٍ للتّخلّص من واقع حياة المخيّم. أمّا دارين فتعمل على مواجهة وسطها من خلال إعلان سعيها لمعرفة جذورها الفلسطينيّة الحقيقيّة، ما يثير استهجان أهلها، وهو الأمر الذي يدفع شقيقها إلى مصارحتها بانتمائه إلى تجمّعٍ شبابيٍّ يدعى «خيبة بن غوريون» هدفه العمل على مواصلة ترسيخ الانتماء الفلسطينيّ في الأجيال الجديدة، ويؤدي ذلك بنجوى إلى تشجيع دارين للانخراط سويّاً بهذا التّجمّع، ما يعني تغييراً جذريّاً في نظرتها إلى انتمائها ونظرتها. لكنّ ذلك لم يمنع الفتاتين من مواصلة عمليّة الاستقصاء تلك، حيث تسهّل نجوى لصديقتها عمليّة الوصول إلى شخصيّة «أبي فداء» مسؤول النّادي الذي يتّضح أنّه هو نفسه الدّكتور «غسّان الخطيب» الذي تقومان بالبحث عنه، وتنجحان في جعل الحبيبين العجوزين يلتقيان. وتكون النّهاية بالدّعوة إلى الاحتشاد على الحدود الفلسطينيّة من كافّة الجهات بالتّضامن مع ناشطين دوليّين حول العالم، وذلك في ذكرى النّكبة من العام التّالي.

وبناءً عليه، يمكننا ملاحظة أنّ الرّواية قائمة بشكلٍ أساسيٍّ على صراعٍ بين ثنائيّتين تمثلاّنهما كلّ من نجوى ودارين: ثنائيّة الأنتماء والخروج لدى فتاة المخيّمات

الفلسطينيّة بمواجهة ثنائيّة الضّياع والبحث عن الذّات عند الفتاة المنتَزَعة من جذورها الفلسطينيّة. لكنّ السّؤال يبقى: كيف قدّم لنا الفضاء الرّوائيّ هذا الصّراع؟

الفضاء المكانيّ: تصارع الأمكنة

يتمتّع المكان بأهمّيّةٍ خاصّة في العمل الرّوائيّ لأنّه الحاضن الذي يغلّف الأحداث ويفرض عليها طبيعته، وكما أنّ الحياة الإنسانيّة لا تقوم إلاّ على أرض تحدّد ظروف تلك الحياة وطبيعتها على حدّ ما يبيّن لنا أنطون سعاده في كتابه نشوء الأمم ، فإنّ الحدث الرّوائي لا يمكن أن يقوم بلا مكان أو أمكنةٍ «تنقلنا بالخيال إلى بقاعٍ مجهولةٍ تجعلنا للحظةٍ نتوهّم أنّنا نجتازها ونسكنها». من خلال النّظر إلى الأمكنة في الرّواية يمكننا أن نجد أنفسنا في أماكن قد تكون مجهولةً علينا، لا سيّما تلك المتعلّقة بالمخيّمات الفلسطينيّة وبنظرة الشّخصيّة الرّئيسيّة إليها. على أنّ هذا يتمظهر لنا في مستوياتٍ عدّة، أتت على الشّكل التّالي:

. المكان المرجعيّ/ الممرّ:

تُدخلنا الرّواية بشكلٍ مباشرٍ في حيّزٍ مكانيٍّ محدّدٍ تدور فيه حياة نجوى، وهو مخيّم شاتيلا. إذ كان بمثابة الإطار الأساسيّ الذي تقدّمه لنا هذه الشّخصيّة إلى جانب صديقتها دارين، مع الأخذ بعين الاعتبار لاختلاف نظرة كلٍّ منهما نحو هذا الإطار. ويمكننا أن نرى في البداية صورة هذا المخيّم بعين دارين لتعطينا نوعاً من الصّدمة بسبب المشاهد التي لم تألفها العين والتي قد لا يظنّ المرء أنّها موجودة في الأصل، إذ تصرّح لصديقتها نجوى: «لم أتصوّر حتّى في أسوأ الكوابيس، هذا الكم الهائل من البؤس والحرمان في هذه الجزيرة المخيفة التي تسمّى مخيّم شاتيلا». فأن يوصَف المخيّم بأنّه جزيرة مخيفة هذا يعني أنّه لا يمكن أن يكون صالحاً للعيش في الأساس، على الأقل من ناحية الشّروط المادّيّة لهذا العيش، وهذا ما أخرج المخيّم بالتّالي من دائرة المكان العاديّ ليدخله في إطار المكان الحاضن للحدث الرّوائيّ.

إلاّ أنّ حقيقة هذا المكان تمثل أمامنا على نحوٍ أكثر إغراقاً في توصيف الواقع، عندما انتقلت الرّواية إلى لسان نجوى التي اختصرت المخيّم كاملاً بلفظة «الممرّ» التي عبّرت عن عمق المعاناة التي تصيب الإنسان في هذا المكان بسبب الضّيق الذي يوحي بالاختناق: «هل تعلمين معنى أن يولد المرء في ممرّ؟ أن لا ينتمي إلى وطنٍ أو منزلٍ حقيقيّ، بل إلى ممرّ؟ المخيّم هو الممرّ حيث كلّ شيءٍ مؤقّت، حيث القوافل تقتات الانتظار وتحلم بالعبور» . إضافةً إلى ذلك فإنّ هذا التّشبيه بالممرّ المؤقّت يعطينا انطباعاً عن كون حياة الفلسطينيّ القائمة ما تزال مرتبطة بمسألة العودة، ولذلك فإنّ كلّ هذه المظاهر تبدو مؤقّتة. وبناءً عليه يبدو الخروج من هذا «الممرّ» إلى رحاب المدينة، حسب العجائز في المخيّم، هو بحدّ ذاته «الخيانة العظمى» .

إضافةً إلى ذلك، فإنّ الضّيق الذي يتّصف به المخيّم يأخذ بالتّفاقم بسبب العوامل الخارجيّة نظراً لكونه مركز جذبٍ للبائسين من مختلف الجنسيات وليس من الفلسطينيّين فقط، وبالتّالي فإنّ المساحة المعطاة لهذا «الممرّ المؤقّت» تأخذ بالتّقلّص شيئاً فشيئاً حتّى يصبح أبعد ما يكون عن كونه حيّزاً سكنيّاً. وهذا الأمر الذي توضحه نجوى بالقول: «ستّة آلاف لاجئ يعيشون ضمن أقلّ من كيلومترٍ مربّع، بالإضافة إلى اللّبنانيّين والسّوريّين والبؤساء من مختلف الجنسيّات. ما الذي يمكن توقّعه غير ذلك؟» .

ولا ينطبق هذا الأمر على مخيّم شاتيلا فحسب، بل يتعدّاه ليشمل المخيّمات الأخرى. فالمعاناة تبقى واحدةً، والمشهد يكاد يكون واحداً لولا بعض التّغييرات الطّفيفة. وهذا ما توضحه لنا دارين من خلال استرجاعاتها الدّاخليّة حول الزّيارات التي قامت بها إلى بعضها بحثاً عن حبيب عمّتها، ومنها دخولها إلى مخيّم مار الياس بمرافقة أقارب لنجوى، حيث كانت مشاهداتها تتلخّص بالتّالي: «المخيّم [مخيّم مار الياس] يضيق بأصحابه، يجتاحه الأثيوبيّون والسريلنكيّون والفقراء من مختلف الجنسيّات، يبحثون عن شقّةٍ صغيرةٍ قريبةٍ من أحياء المدينة الغنيّة. هذا ما أخبرتني به ليلى [ابنة خال نجوى] خلال جولتنا في أزقّة المخيّم الضيّقة» .

ولا تتوقّف مشاهداتها عند هذا الحدّ، لكنّها تتجاوزها لتروي بعض حالات البؤس التي تجري داخل مخيّم برج البراجنة على سبيل المثال لا الحصر، ومنها ضعف التّنظيم في الإمداد الخاصّ بشبكات الكهرباء والمياه، حيث يؤدّي اختلاطها إلى مخاطر باتت اعتياديّة بالنّسبة لسكّان المخيّم، وجريان المياه الآسنة وسط طرقات المخيّم، مع أنّ سكّانه يبقّون ضاحكين للزّوار بكلّ صدق.

استناداً إلى ذلك، نلحظ أنّ الفضاء المرجعيّ للرّواية يحيلنا إلى حالٍ من البؤس تستطيع أن تغرق الانسان الفلسطينيّ بعيداً عن همّه الأساس وقضيّته التي أوصلته إلى هذا «الممرّ»، وهو الأمر الذي يقدّم لنا نافذةً لبحث طبيعة التّأثير الذي يمتلكه هذا المكان في ساكنيه.

. فاعليّة المكان/ الأثر القسريّ:

مارس المكان/الممرّ هذا تأثيره الواضح في الذّات الفلسطينيّة داخل الحيّز الرّوائيّ، ولعلّ الملاحظة الأولى التي نجدها في هذا التّأثير هي عمليّة الالتصاق بوثيقة اللّجوء الفلسطينيّ المسمّاة بـ«الوثيقة الزّرقاء» على لسان نجوى، وكأنّ هذا الوصف يريد أن يخبّئ الأثر السّلبيّ الذي يولّده التّعبير الأصلي عنها، والذي قد يكمن في الهرب من الإطار الذي يذكّر بالتّجرّد من الحقوق الوطنيّة والقوميّة والحقوق المدنيّة والإنسانيّة. الأمر الذي يتّضح على نحو أكبر من خلال وصف الوثيقة بأنّها «تلك التي تحشرنا في الممرّ وتدفننا فيه».

على أنّ هذا «الحشر» في الممرّ أو في المكان الضيّق المعروف بالمخيّم يحمل في طيّاته مجموعةً من المعطيات التي تؤثّر سلباً في مجرى الحياة العامّ فتسم المجتمع المحصور داخل حدودها بمواصفاتٍ عدّة منها ما هو مشترك مع المحيط العامّ، ومنها ما هو خاصّ بهذا الحيّز. فعلى سبيل المثال، نرى صورة المجتمع الذي لا يمكنه أن يتقبّل أيّ رأيٍ آخر، لا بل لا يمكن أن يعترف به في الأساس، وفي هذا السّياق يأتي كلام نجوى: «أنسيتِ أنّنا ننتمي إلى مجتمعٍ لا يؤمن إلاّ بالنّظرةٍ الأحاديّة وينسى كلّ ما لا يرتبطُ مباشرةً باقتناعاته؟» . ومن هذا المنطلق، نرى أنّ مفهوم الحريّات بعامة يأخذ بالتّقلّص داخل حدود المخيّم، فإلى جانب انعدام حريّة الرّأي، نلاحظ أنّ الحصار يعمل على تضييق مساحة الحرّيّة شيئاً فشيئاً لتشمل الحرّيّة الفرديّة. إذ أنّ زاوية الرّؤية التي تقدّمها لنا الرّاوية نجوى تبيّن انتفاءً حتّى في الحرّيّة الشّخصيّة، حيث تتداخل الأصوات بين المساكن، ولتختفي خصوصيّة البيت ويصبح كأنّه مباح أمام ما يحيط به من ضجيج يبعث على الخنق النّفسيّ .

في السّياق نفسه، نجد أنّ تأثير المكان يبدو أكثر تنامياً في نظر نجوى ليشمل هيكليّة المجتمع الأخلاقيّة والقيميّة، إذ أنّ مفهوم المجتمع نفسه ينتفي لمصلحة حضور مفهوم التّجمّع البدائيّ الذي يتّبع سنّة البقاء للأقوى، فتقول: «أنا نشأتُ في بنيةٍ حيث النّاس يقاومون القهر بالضّرب. كلّ واحدٍ يضرب مَن هو أضعف منه. الزّوج يضرب امرأته وأولاده، والأمّ تضرب أولادها، والأخوة يضرب بعضهم بعضاً... أنا كنتُ الأضعف..» . ومن هذا المنطلق نرى دخولاً في قضايا كيانيّة داخل هذا الحيّز المكاني تشكّل صورة عن المجتمع فيه وحتّى في محيطه ككلّ، وأعني هنا تمثيلاً لصورة مجتمعات العالم الثّالث. إذ يمكننا أن نقرأ من خلال هذا المقطع حضوراً لحال المرأة بوصفها الحلقة الأضعف في المجتمع، وبالتّالي العنصر الأكثر تلقيّاً لممارسات الضّغط والعنف.

إلاّ أنّ القارئ يلحظ تميّزاً للإطار المكانيّ الذي يمثّله المخيّم في بعض الجوانب عن غيره من المجتمعات، وإن ورد على لسان نجوى بصورةٍ هروبيّةٍ تعمل على الفرار من الواقع بدلاً من مواجهته، وإن كان يحضر من خلال الثّغرات التي يعاني منها القانون العنصريّ. فوضع المرأة في المخيّم يختلف عنه في الخارج، وهو الأمر الذي يدفع نجوى إلى استغلاله وفق نظرتها التّالية: «دارين العزيزة، إنّ القانون الجائر يحقّ للفلسطينيّين فسحة تسمح للمرأة بالتّفوّق على الرّجل، وأنا مصرّة على احتلالها واستغلالها إلى الحدّ الأقصى. فالرّجل الفلسطينيّ إن تزوّج لبنانيّةً لا يحصل على أيّ امتياز إذ يمنع القانون اللّبنانيّ المرأة من

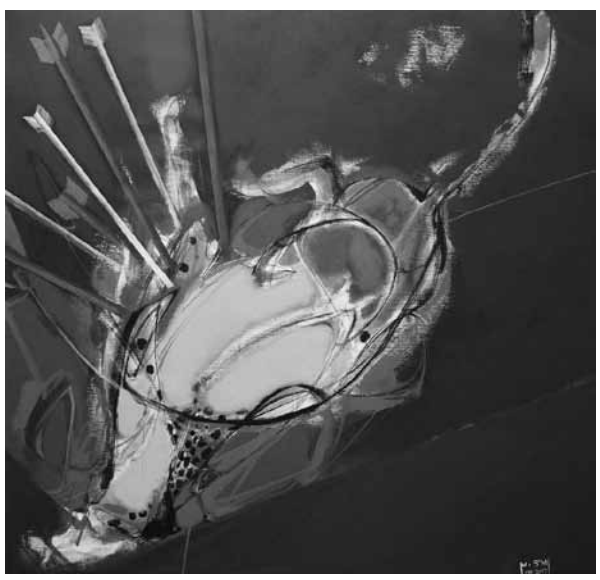

منح أبنائها الجنسيّة. بينما المرأة الفلسطينيّة، إن تمكّنت من العثور على زوج لبنانيّ، تكون قد وصلت إلى المنفذ الذي يسمح لها ولأولادها بالخروج إلى الضّوء».

أمّا التّأثير الأخطر للمكان في أحداث الرّواية خصوصاً، وفي الانسان الفلسطينيّ بشكلٍ عامّ، فيتجلّى في الواقع الاجتماعيّ– السّياسيّ المزري الذي يفصل هذا الشّعب عن قضيّته المحوريّة، والذي تقدّمه لنا الرّواية من خلال الانقسام الحاضر داخل العائلة الواحدة: «عائلتنا صورة مصغّرة عن المجتمع الفلسطينيّ المفكّك والمتعصّب لتفكّكه»، فصورة هذا المجتمع تتّصف بالتّصدّع السّياسيّ– الفكريّ الذي يتمّ استغلاله من أجل إبعاد الشّعب الفلسطينيّ عن الخوض في الصّراع على قاعدةٍ ثابتةٍ ومن خلال تخطيطٍ جادّ للوصول إلى أهداف الحريّة والعودة، وذلك انطلاقاً من الدّخول في الصّراع الحادّ بين أبناء القضيّة الواحدة بدلاً من الصّراع ضدّ سالبي الحقوق والأرض. ولا يتوقّف الأمر عند التوجّهات السّياسيّة والفكريّة القائمة، بل يصبح المخيّم ميداناً لدخول أفكارٍ غريبةٍ ومريبة، وبالتّالي لتفتّتٍ أكبر وتشرّدٍ أكبر: «كلّ يومٍ يظهر تنظيم جديد، ويحمل اسماً مختلفاً ووعوداً جديدةً للشّبّان الذين يبحثون عمّا يملأ فراغهم بوهم النّضال، أو جيوبهم بأموال مجهولة المصدر». لعلّنا

نرى في هذا الأمر تمهيداً لظهور الحال الخاصّة المتعلّقة بـ»كريم» في عائلة نجوى، إذ اتّضح لنا أنّه انخرط في إحدى المنظّمات المتشدّدة في مخيّم نهر البارد، وأخذ يتصرّف بشكلٍ مختلفٍ عن تربية تلك العائلة وقيمها. وهنا نكتشف خطورة التّأثير لأن يكون الإنسان جزءاً من المخيّم، فهو عرضة لسياقاتٍ غير محسوبةٍ تغرق سكانه في مآسٍ أخرى فوق ما عرفوه، ليس أقلّها فقدان الأبناء بشكلٍ مجّانيٍّ أبعد ما يكون عن النّضال من أجل العودة وطرد الاحتلال.

. المكان ذهنيّاً/ ذاكرة الدّم:

يدخلنا ذلك النّقاش في ما كوّنته الأحداث عن المخيّم في الأذهان، فحدود المخيّم لا تضمّ مجرّد مساحةٍ مكانيّة عاديّة، بل تضمّ تاريخاً حافلاً من العذابات والمآسي والحروب. لذا نقرأ من وجهة نظر دارين عن ارتباط لفظة المخيّم بالحروب: «كأنّها حرب وراء حرب، والخيوط التي تحرّكها تبدو أطول ممّا نتوقّع، ممتدّة إلى أوكارٍ مخفيّة. المخيّمات ملعب مفتوح أمام لاعبين يمارسون فيه اختباراتهم».

في السّياق الرّوائيّ، نتفاعل مع هذه الحروب من خلال عمليّة البحث التي تقوم بها دارين عن الدّكتور غسّان الخطيب، حيث يشكّل هذا الخيط السّرديّ مساراً مطّرداً يعرّفنا بعمق المعاناة التي عاشها أهالي المخيّمات في ظل المجازر، ولكن من زاويةٍ تعمل على مقاربة المشاعر التي تركتها فيهم. هنا يكمن الحضور الذّهنيّ للمكان، إذ أنّ تاريخ المجازر التي مرّت على هذا الشّعب ارتبطت بالمكان، أو على نحوٍ أدقّ بالمخيّمات، ما أثار في ذات الفلسطينيّ الشّعور باليأس والموت.

تنطبق هذه الحال على والد نجوى، حينما يتحوّل إلى صوتٍ روائيٍّ ليسرد علينا تجربته الشّخصيّة مع مجزرة «تلّ الزّعتر» فيقول: «سأحدّثكِ عن يوميّاتنا أيّام الحصار، عن صراعنا ضدّ الجوع، عن انقطاع المواد الطّبّيّة [...] عن انقطاع التيّار الكهربائيّ وعن العدس الذي غدا، في المرحلة الثّانية من الحصار، طعامنا الوحيد [...] وانقطاع الماء... والقسطل الوحيد الذي كان يروي ثلاثين ألف نسمة طوال اثنين وخمسين يوماً.. غدا مصيدة [...] والمعارك التي كنّا نخوضها دون شجاعة فعليّة، مدفوعين فقط بغريزة البقاء» . ويتابع سرده في موضع آخر ليبيّن لنا اللّحظات التي استشهدت فيها أمّه وأخته بوصفهما جزءاً من ضحايا المجزرة أثناء القصف على المخيّم. وهذا ما جعل المكان المذكور، أعني «تلّ الزّعتر»، لا يرتبط إلاّ بالألم النّفسيّ لدى والد نجوى، نظراً لكونه ممثّلاً لضحايا هذ المجزرة التي غيّرت حياة كلّ مَن مرّ فيها بشكلٍ جذريّ، وهو ما يعلنه بنفسه معلناً: «قبل تلّ الزّعتر، كنتُ شخصاً آخر... هناك فقدتُ الطّبقة الأولى من تلك الشّخصيّة. بعدها عرّتني التّجارب من الطّبقات الأخرى».

ذاكرة المكان تتطوّر بشكلٍ أكبر في ذهن الوالد الذي يرافقه التّأثّر حتّى بعد زمنٍ طويلٍ على تلك الأحداث، فتتضخّم الذّاكرة لتشمل تجاربه الأخرى المرتبطة بمكانٍ آخر حفر صورته الذّهنيّة في فكره؛ وهو المكان الذي ارتبط بالمجزرة الشّهيرة المعروفة بـ»صبرا وشاتيلا»، وهو المكان الذي ما يزال قائماً فيه ضمن حاضر الرّواية. ولعلّ تعاظم منسوب الألم الذي لم يفتأ يشعر به جعله يؤثر الصّمت التّام، نظراً لوحشيّة المشاهد التي عاشها والتي تنقلها زوجته لدارين، مع كل ما تضمّنته هذه المشاهد من ذكريات إصابته بالسّاق، وسقوطه ثمّ سقوط جثّة صديقه فوقه، واختباؤه لمدّة يومين والتهامه الخبز

اليابس ليسد شيئاً من جوعه.

يُبرز هذا كلّه كيف أنّ المكان شكّل ذاكرةً محدّدة في أذهان أهالي المخيّم، هي ذاكرة المأساة التي يراد لها أن تكون عاملاً أوّل من عوامل الانهزام والانكسار والخوف، لأنّها مأساة تسعى إلى تدمير الذّات وإلى الاستسلام. الأمر الذي أتى على لسان والد نجوى بصيغة تساؤل يبيّن تملّك تلك المشاعر السّلبيّة منه: «ما الذي يمكن أن ينقذكِ بعد أن تخوضي تجربةً كالمجزرة؟ ما الذي ينقذكِ من الخوف والقرف والجنون؟.

بعد استيعاب كلّ ما سبق عن فضاء المخيّم، تمثل أمامنا نجوى من جديد بسعيها إلى الفكاك من جوانب المآسي تلك، والتي قد يبرّر لها البعض ذلك، وقد يتحوّل طموحها إلى حالٍ عامّةٍ تنسحب على الشّريحة الأكبر من متّحد المخيّم. لكن السّؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف سيبدو العالم الذي يقع خارج أسوار المخيّم أمام القارئ؟ وكيف سيُقدَّم لنا؟

. الحضور المكانيّ لـ «آخر»/ فساد الجنّة:

قد يظهر للقارئ أنّ صورة العالم الخارجي بعد هذا كلّه ستكون الجنّة الموعودة بالنّسبة إلى قاطني المخيّم، كما كان كذلك بالفعل بالنّسبة لنجوى. ولعلّ هذا ما يتّضح من خلال نظرتها إلى المكان الذي وسمه العدوّ بصبغته فبدا نقيضاً للمخيّم من كلّ النّواحي، لا سيّما من النّاحية المدنيّة – العمرانيّة، إذ أنّ استرجاعها لرؤية الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة من جهة الجنوب اللّبنانيّ لأوّل مرّة بعد التّحرير في العام 2000، أظهر إحداث نوعٍ من الصّدمة فيها نظراً للفارق الكبير من حيث الشّكل على الأقل بين هذه المناطق وبين المخيّمات: «أنا لم أستطع أن أنتزع نفسي من موقعي قرب الشّريط، أراقب بغيظٍ بيوت مستعمرة المطلّة الجميلة، طرقاتها نظيفة وأشجارها المصطفّة بانتظام. الأشجار شكّلت التّحدّي الأكبر بالنّسبة إليّ، أكثر من الطّرقات والمنازل وجنود الاحتلال».

يلفت نظر القارئ هنا هذا الغيظ الذي تحسّ به نجوى بسبب مقارنتها تلك لأنّ هذا الجانب هو الذي شكّل دافعها إلى السّعي للانفصال عن المخيّم. واللافت أكثر في كلامها هذا هو التّركيز على رمزيّة «الأشجار» التي شكّلت الحدّ الفاصل بين حيّز المخيّم المكانيّ وبين الحيّز المكاني الذي يشغله العدوّ إلى جانب دقّة التّنظيم والحرص على النّظافة، وهي الأمور التي افتقدتها نجوى، فأوضحت ذلك في شكل مقابلةٍ بلاغيّةٍ بسيطة ولكن معبّرة: «نحن نغنّي وهم يزرعون الشّجر» ، أيّ أنّ شعوبنا احترفت التّبجّح بينما العدوّ أتقن عمليّة إدارة المكان وتنظيمه، وهذا ما شكّل في ذهنها هاجس الخروج عن مكان نشأتها.

على أنّ هذا الهاجس بدأ يتبلور من خلال صداقة نجوى بدارين، إذ فتحت لها الباب من أجل التّعرّف على مكانٍ آخر مناقض لما تعرفه. لكنّ الحصول على هذه الفرصة لم يكن كما تنشده نجوى، لأنّ النّطرة الأولى نحوها أبرزت استهجاناً واضحاً، وبالتّالي نوعاً من العنصريّة

على صعيدين: على صعيد انتمائها الدّينيّ أو انتمائها الوطنيّ، ويتّضح ذلك بقول نجوى نفسها: «كان الجميع ينظرون إليّ كأنّني قادمة من كوكبٍ آخر، ألم تستقبلوا من قبل مسلماً في منزلكم؟ لا تشعري بالحرج. الذّنب ليس ذنبكِ» . وعند الغوص في خفايا ذلك البيت بوصفه النّموذج المكانيّ الثّاني أمام نجوى، نلاحظ تفكّكاً من الناحية النّفسيّة في العائلة تتجلّى في التّوتّر المتواصل وانعدام استقرارٍ نفسيٍّ لدى أفرادها، من خلال ما تبيّنه دارين: «حال الجوّ في بيتنا يسيطر عليها مزاج والدتي، سواء أصافياً كان أم متقلّباً. أمّي غارقة في المؤامرات، ترى الجميع متحالفين ضدّها، وهي في مواجهةٍ يوميّةٍ مع الجميع، ابتداءً من والدي الذي راح يتلهّى عن كيدها بمطاردة النّساء وبالسّهرات والحفلات، إلى زوجات أعمامي اللّواتي يكلن لها الصّاع صاعين. حتّى عمّتي لم تسلم من نميمتها ومن الحروب الضّارية التي تشنّها في العلن والخفاء» . ومن الواضح أنّ مكاناً كهذا لا يمكن أن يكون إطاراً مثالياً للعيش، لأنّه لا يمتلك مؤهّلات الاستقرار والرّاحة التي تظنّها نجوى، وإن بدا كذلك في الظّاهر.

غير أنّ المكان الذي يحضر بوصفه الأكثر نموذجيّةً، أو بوصفه الجنّة المنشودة بالنّسبة للشّباب الفلسطينيّ بعامّةٍ، فهو العالم الغربيّ، وبالتّحديد الأوروبيّ، حيث الحرّيّة وحقوق الإنسان والتّنظيم الحضاريّ والثّقافيّ كما هو مفترض. وقد شكّل الوصول إلى هذا المكان في الرّواية طموحاً أساسيّاً لكونه يمثّل الخلاص من عناصر البؤس ومحاصرة الحرّيّة الفرديّة، إذ تصفه نجوى بأنّه «بوابة الجّنة» . وقد برز هذا المكان من خلال شخصيّتي الشّقيقين: ياسر وجلال. فالأوّل سعى إلى السّفر لأوروبا بطريقةٍ غير شرعيّة عبر تركيا، مع ما تضمّنه ذلك من مخاطر جمّة تتمثّل في الدّجّالين وخفر السّواحل وقلّة عناصر السّلامة... وهي المخاطر التي أودت بحياته أثناء رحلته الموعودة على متن زورق متّجهٍ نحو جزيرة رودس . ما يعني أنّ الاحتمال الأوّل الذي يقدّمه هذا المكان هو الموت أو على الأقلّ التّعرّض للاحتيال والاعتقال.

أمّا شخصيّة جلال، فقد مثّلت الذين نجحوا في العبور ووصلوا للاستقرار في إحدى الدّول الأوروبيّة. وانطلاقاً من اعتقادات نجوى، يجب أن تكون حياته تتّسم بالرّاحة والاستقلاليّة وتحقيق الذّات. إلاّ أنّ حوار جلال معها يوضح لها ولنا أنّ هذا المكان أيضاً ليس بالجنّة المفترَضة: «نجوى، ليس الحلّ هنا أيضاً، حيث الطّرقات الواسعة والنّظيفة، حيث الأحياء التي تتنافس في زراعة الأزهار، حيث الخضرة الدّائمة والنّظام الدّقيق والعلم والطّبابة وفرص العمل لمن جدّ واجتهد، على الأقلّ بالنّسبة إلى سكّان البلاد النّظاميّين» . ويشرح لها كيف أنّ هذا المكان نقيض بالفعل للمخيّم، ولكن ليس نحو الأفضل بل نحو وحشيّة الوحدة وانعدام أي مفهوم للمساعدة، وكيف أنّ هذا العالم يتضمّن حيّزاً شبيهاً بالمخيّم سمّاه «العالم السّفليّ أي الضّواحي، مع اختلافٍ أساسيٍّ هو سيطرة حال الوحدة عليه .

في خلاصة القول حول هذا الجانب، يظهر لنا الحضور المكانيّ للآخر أبعد ما يكون عن كونه خلاصاً، أو «جنّةً»، بكلّ مستوياته، ولذلك لم يكن هو الحلّ، لأنّه تضمّن عوامل الفساد والانحطاط الأخلاقيّ. فهل من ثغرةٍ في جدار الإحباط هذا؟

. فنّيّة المكان/ طريق النّضال:

تظهر الفنيّة في الرّواية من خلال تحويل أمكنة صغيرة إلى مساحاتٍ أوسع من النّاحية المكانيّة ومن ناحية الإرث أو الطّموحات، وينجح ذلك باستعمال تقنية تناوب الرّواية، ما يعطينا إطارين مكانيّين متباعدين ظاهراً ولكن يصبّان في الغاية نفسها التي يطمح إليها العمل.

يبرز لنا المكان الأوّل، في هذا السّياق، من خلال تيار الوعي الذي ينشط لدى دارين ليعيدنا إلى طفولتها، إذ كان الموضع الأكثر حميميّةً واطمئناناً بالنّسبة إليها هو خزانة جدّتها حيث كانت تعيش في عالمها الخاصّ ومستقبلها الواعد بعيداً عن عالمها الواقعيّ . غير أنّ هذا الإطار المكانيّ الضّيّق لم يبقَ على حاله في شبابها، لأنّه تحوّل إلى بانوراما عن المسيرة الأولى لعائلتها التي شرعت تبحث عنها في ظل إنكار تامٍّ من قبل أبويها. لذا تقوم بالإعلان: «هذه الخزانة تحوي اليوم رسائل توقظ الماضي، فيها حبّ وأحلام وبطولات وانكسارات. حبّذا لو استطعتُ أن أتكوّم داخلها، كما في الماضي، حين كانت المساحة تتّسع لجسدي الصّغير. في الخزانة حكايا عن وطنٍ تضاءل فبات لا يتّسع لحاضرنا أو مستقبلنا، وفيها مفتاح، كما المفتاح المعلّق عند المدخل في بيت نجوى».

ونرى تضخّم هذا الخزانة بشكلٍ عمليٍّ عندما تأخذ دارين بقراءة ما وجدته فيها من الرّسائل والمذكّرات التي كتبها جدّاها، ومنها قول جدّها: «لم أبعْ كما فعل بعضهم. احتفظتُ بحجّة الأرض وضعتها داخل قميصي يوم الرّحيل. ما زلت أؤمن أنّها ستفيدنا يوماً ما وستعيد لنا أرضنا».

استناداً إلى ذلك، قد يكون هذا المكان الضيّق هو الذي دعا دارين إلى الدّخول في حياة نجوى بحثاً عن الانتماء إلى جذورها الفلسطينيّة، كما كان له الأثر في دفع حياة نجوى إلى التّغيّر في الفعل والتّفكير. الأمر الذي تبرزه هذه الأخيرة في حوارها الإلكترونيّ معها: «عظيم تصرّين على لحس المبرد. أنتِ تتّبعين المسار المعاكس لمساري. أنا أسعى إلى الهرب من المآسي وأنتِ تسلكين درب الآلام بمحض إرادتك».

من جهتها، أظهرت نجوى مكاناً فنيّاً آخر، لكنّه وقع هذه المرّة داخل المخيّم، ما أسهم في تشكيل حيّزٍ مناقضٍ لواقع هذا الأخير. وقد تجلّى هذا الحيّز في نادي «غدنا» الذي انضمّت إليه نجوى؛ فكان بالنّسبة لها، بوصفها راويةً وشخصيّةً رئيسةً على حدٍّ سواء، حضوراً أكبر من إطاره الواقعيّ وأثراً أبعد ممّا يبدو عليه. ويتبدّى لنا ذلك في معرض كلامها عن مدير النّادي، ورفيق والدها القديم: «أبو فداء هو مدير نادي «غدنا» للفنون الذي أرتاد مع أشقّائي للتّمتّع بفسحةٍ من الضّوء والرّاحة [...] ما زلتُ في البداية وما زالت الدّروس جافّةً وصعبة، ولكنّني أحلم باليوم الذي سأتمكّن فيه من أن أفرغ عواطفي وأفكاري ألواناً وخطوطاً فوق القماش. ربّما سيكون هذا منفذي من المتاهة» . ومن الواضح أنّ هذا المكان غدا بعداً نفسيّاً يتميّز بكونه ضوءاً بالنّسبة لها، مع ما يعنيه ذلك من الحرّيّة والأمل، ويحمل المنفذ الذي يجعل المستقبل أكثر إشراقاً.

ومن ناحيةٍ أخرى، شكّل هذا المكان ميداناً للعمل الفاعل في تحسين واقع الحياة في المخيّم من جهة، وللرّبط بالجذّور الفلسطينيّة من جهةٍ ثانية. إذ أنّه احتضن مشروع التّشجير داخل المخيّم «لنشر الخضرة ولإحياء تقليدٍ رسّخه أجدادنا حين وصلوا إلى لبنان وغرسوا التّين والبرتقال والأكي دني في المخيّمات، ليتذكّروا الأرض التي كانوا يزرعونها في ديارهم».

استناداً إلى ما سبق، نرى أنّ المكان قد تحوّل بنتيجة طموحات الشّخصيّات ومبادئها إلى أمكنةٍ فنّيّةٍ تمتلك هويّتها داخل الرّواية فحسب لتعطي مساحةً من الأمل وترسيخاً لروح الانتماء فيها، وهو ما يمكن أن نعدَّه المؤثّر المحوريّ في تغيير مسار حياة نجوى نحو النّضال من أجل القضيّة.

الخاتمة: محوريّة المكان

في خلاصةٍ لما تمّ درسه، نجد أنّ الفضاء المكانيّ قد امتلك أهميّةً بارزةً في سياق العمل الرّوائيّ المعنون «مفتاحٌ لنجوى»؛ لأنّ المكان هو الذي أفسح في المجال أمام تكوين الصّراع لدى الشّخصيّات، ولا سيّما شخصيّة نجوى؛ فنشأتها داخل مخيّم شاتيلا شكّل تحدّياً بالنّسبة لها لتتخلّص من واقعها. من هذا المنطلق تقسّم الفضاء المكانيّ إلى مستويات مطّردة في دوره داخل أحداث الرّواية: أوّلها المستوى المرجعيّ الذي أوضح لنا بؤس الحال في المخيّمات بصورةٍ عامّة، يليه المستوى الذي يبيّن تأثير هذا المكان في حياة الأفراد، ثم مستوى الذّاكرة الذي بيّن ما يختزنه أهل المخيّمات من ذكرياتٍ حول المآسي والمجازر التي دارت ضمن حدود المخيّمات وارتبطت تسميتها بها. في حين ظهر مستوى رابع يتعلّق بالأمكنة المناقضة للمخيّم من أطر تخضع لسلطة العدو، أو التي تقع ضمن المدى القريب من حدود المخيّم أو ضمن مداه البعيد. ليكون المستوى الأخير هو الذي حمل أطراً مكانيّة تعزّز جوانب الانتماء وتهدي إلى سبيل النّضال.

وبناءً على هذه الدّراسة، نلاحظ أنّ الرّواية تسير في خطٍّ تصاعديٍّ يوصل إلى إعادة شخصيّة نجوى لموقعها الطّبيعيّ المتمثّل في العمل من أجل العودة، وهو ما ارتبط برمزيّة العنوان الذي شكّل إيحاءً بأنّ نجوى قد عادت للالتزام بقضيّتها الأولى وبنضالها في سبيل حلّ المشاكل التي تصيبها ليس بوصفها فرداً، بل بوصفها امرأةً فلسطينيّةً، لذلك كان انخراطها الإراديّ في المراحل الأخيرة من الرّواية بنشاط جمعيّة «خيبة بن غوريون» والتي تشكّل هي بحدّ ذاتها دليلاً على نجاح خططها، وهي الخطط التي ستؤدّي، من خلال استباق الرّاوية دارين، إلى الزّحف نحو الحدود الفلسطينيّة بمناسبة ذكرى النّكبة في حدثٍ شهدناه جميعاً وتفاعلنا معه على أرض الواقع، بما يشكّل مماهاةً مبتكرةً بين الفضاء الرّوائيّ والفضاء الواقعيّ، لتُختتم الرواية بوصفٍ لشرارة تلك الثّورة: «إنّها ثورة المفاتيح. المفاتيح رمزٌ لحقّ الملكيّة لا يسقط بالتّقادم. والأوراق والسّندات والحجج هنا لتثبت حقّ العودة إلى البيوت والأراضي» .

وهنا إشارة إلى أنّ العناصر الأخرى شكّلت أبعاداً دلاليّةً لا تقلّ أهميّة عن الجانب المكانيّ، لأنّ الزّمن كان عمل على نحوٍ غنيٍّ في هذا السّياق، كما أنّ استغلال التقنيات الحديثة في التّواصل أدّى دوراً أساسيّاً في إبراز الصّراع بين نظرتين متناقضتين على مدى الرّواية، غير أنّ المجال هنا لن يتّسع لتفصيل القول فيها، وإن كنتُ أشعر بالرّغبة القويّة للإقدام على هذا الأمر.

يبقى أنّنا نحتاج على الدّوام للبقاء في مدار المسألة الفلسطينيّة، على المستوى الثّقافيّ – الأدبيّ، لأنّ الأدب لم يعد مجرّد شكلٍ من أشكال التّرف الفكريّ ولا وجهاً من وجوه التّعبير، بل فعلاً مقاوماً بحدّ ذاته يشارك في تحرير الإنسان وبالتّالي في تحرير الأرض، انسجاماً مع مقولة سارتر الشّهيرة: «ليس من المهم أن يعبر الأديب عما يريد، بالأسلوب الذي يبتغيه، لكنّ الأوجب أن يكتب لجمهور تقوده الحريّة إلى التغيير الشامل نحو الأفضل».◀

أقامتها الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت

احتفالية بصحافيات رائدات لمناسبة اليوم العالمي للمرأة

احتفاء بـ«اليوم العالمي للمرأة»، أقام «مركز التراث اللبناني» في الجامعة اللبنانية – الأميركية لقاء حوارياً مع الباحثة الجامعية الدكتورة إلهام كلاب البساط في موضوع «عندما كن يصدرن الصحف» حول مطالع الصحافة اللبنانية النسائية في لبنان ومصر بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

أضاءت الدكتورة كلاب على جانب مغمور من دور المرأة في عصر النهضة، وذلك في حضور رئيس الجامعة الدكتور جوزف جبرا، وممثلين للرؤساء الثلاثة، ومهتمّين، وأدار الحوار معها رئيس المركز الشاعر هنري زغيب.

في خلاصة الحوار معها، تحدثت الدكتورة كلاب، بالنص والصور عن مطالع القرن العشرين وحكم السلطان عبد الحميد الذي منع النساء من الكتابة فسبب الاضطهاد والتهجير إلى مصر، حتى أعاد العمل بالدستور سنة 1908 فأخذت الصحف تصدر تباعاً ومعظمها في خدمة السلطنة العثمانية. وكانت بدايات التحرر مؤشر الازدهار الاقتصادي كما في محلات «أوروز دي باك» الفخمة في قلب بيروت سنة 1900 وافتتاح محطة سكة الحديد في ميناء بيروت سنة 1903، ثم مبادرة فاطمة المحمصاني سنة 1918 برفع العلم العربي فوق سراي بيروت، وتخرج أول دفعة من الجامعيات سنة 1927 من الجامعة الأميركية في بيروت.

انتقلت الباحثة إلى مصر منوهة بحملة نابوليون سنة 1896 وما حملته معها من علماء وباحثين أسسوا للنهضة الحديثة، وظهر التشبه بالمرأة الغربية تحرراً ومطالبة بحقوق المرأة على غرار النموذج الغربي الذي وصل إلى إصدار المرأة في فرنسا جريدة سياسية كما فعلت مارغريت دوران بتأسيسها جريدة «لا فروند» في باريس سنة 1903.

بعد ذلك انتقلت كلاب إلى تعداد الصحف النسائية الأولى بدءاً من مصر مع «أُم الصحافيات» هند نوفل

في جريدتها «الفتاة» سنة 1892، وتتالت بعدها على الإصدار في لبنان ومصر نساء لبنانيات، منهن: لويزا حْبَالين («الفردوس» 1896)، ألكسندرا الخوري («أنيس الجليس» 1898)، أستير أزهري («العائلة» 1899)، مريم سعد («الهوانِم» و«الزَّهرة» 1902)، روزي أنطون («السيِّدات والبنات» 1903)، لبيبة هاشم («فتاة الشرق» 1906)، عفيفة كرم («العالَم الجديد» 1913)، سَليمة أَبو راشد («فتاة لبنان» 1914)، الأَميرة نجلا أَبي اللمع («الفَجر» 1919)، عفيفة صعب («الخِدْر» 1919)، مريم الزمار («فتاة الوطن» 1919)، جوليا طعمة دمشقية («المرأَة الجديدة» 1921)، حبُّوبة حداد («الحياة الجديدة» 1922)، ماري يني («مينرفا» 1923)، أمينة الخوري المقدسي («مورد الأحداث» 1924)، «روز اليوسف» (1925)، و«المستقبل» أول جريدة سياسية تصدرها امرأة في شمال لبنان، ثم «صوت المرأة» (1945) مع جامعة نساء لبنان تعاقب على تحريرها فؤاد سليمان ثم إدفيك شيبوب.

وختمت كلاب حديثها بأن في مقاربة معاصرة أسماء تلك المجلات وأهدافها وفكرها وأماكن صدورها ومراحل تاريخها، تحفيزاً على قراءة جديدة تاريخ المرأة اللبنانية الفكري والحضاري الرائد.

وفي حديث خاص بـ«الخليج»، تناولت كلاب بعض العوامل التي توافرت في القرن التاسع عشر وكانت «محبطة لقدرات المرأة بسبب القوانين العثمانية السائدة التي لم تسمح للمرأة أن تكتب أو تصدر أي مجلة، أو توقع باسمها الصريح بحظر سلطاني، وهذا ما جعل النساء لا يستطعن الكتابة أو يصدرن مجلات، لذلك ذهبت النساء إلى مصر في القرن التاسع عشر، ومن مصر أطلقت المرأة بتحد كبير نهضة نسائية صحافية هائلة رغم الامكانات القليلة لديها، وأملها كان كبيراً في أن تكون عنصراً فعالاً بالنهضة التي كانت تجري في العالم العربي».

وقالت عما سمح للمرأة أن تتمكن من التفلت من قوانين السلطات العثمانية أن «أغلب الصحافيات كن بنات عائلات من بيئة متعلمة، الأب والأم والأخوة كانوا إما يصدرون الصحف، أو يكتبون روايات أو يكتبون أدبا، وشعروا أن لدى بناتهم الطموح والقدرة، وعندما راحوا إلى مصر، وكانت العديد من الجرائد الرجالية تصدر، البنات اللواتي خرجن من بيوت علم وبيوت فيها طموح وبمساعدة الأهل، قدرن على تخطي الصعاب بمعرفتهن الكاملة والصحيحة للغة او الإدارة وغيرهما، وبمساعدة الأهل الذين خصصوا لهن كبار الاساتذة مثل ابراهيم اليازجي الذي درس الكاتبة ألكسندرا الخوري، وهي كانت ذكية وفذة».

بعض العوامل الأخرى في النهضة النسائية الصحافية عرضتها كلاب: «في القرن التاسع عشر جاءت العديد من الإرساليات إلى لبنان، فتحت مدارسها، وكانت هناك مدارس وطنية ومدارس للطوائف. في هذه الفسحة الصغيرة التي كانت الفتيات يتمكن من الذهاب إليها، استطعن الذهاب إلى هذه المدارس، وما يلفت النظر أن أغلبهن صحافيات وكن مترجمات، وترجمن الكثير من أدب القرن التاسع عشر، أي انهن درسن اللغات الأجنبية، وكل واحدة منهن كانت صحافية وأديبة و روائية ومترجمة في آن».

كما عرضت كلاب للروابط بين المجالات المختلفة بقولها: «كان هناك حقل تلاقت فيه الصحافة بالجمعيات النسائية التي أسست، وبالصالونات التي أسستها النساء، والمؤتمرات التي كن يحضرنها، كل هذه المواقع الأربعة ساندت وبرزت بعضها لإعطاء صورة عن النهضة خصوصاً النهضة النسائية».

وأوضحت كلاب أن «كل صحافية وكل أديبة كان عندها صالون، أبرزها صالون مي زيادة – صالون الثلاثاء الشهير– وصالون ألكسندرا الخوري، وصالون هند نوفل.. كل صحافية منهن كان عندها صالون مرادف لعملها الصالون الأدبي. وكن يتحاورن ويتبادلن الآراء، وكانت نقاشاتهن وأبحاثهن تنشر في صحفهن».

عدد الصحافيات والأديبات أكثر من ٣٠ صحافية برأي كلاب، «حيث لم تكن هناك أي وسيلة إعلامية غير الصحيفة، ولا وسيلة لقاء آخر للنساء غير الصالون في المنازل»، خاتمة أن «تلك الخطوة للمرأة فيها جرأة كبيرة حيث كانت لها الخطابة والكتابة والأدب، وهي كانت وسائل الاتصال الممكنة للمرأة للمجتمع وللحداثة أيضا».

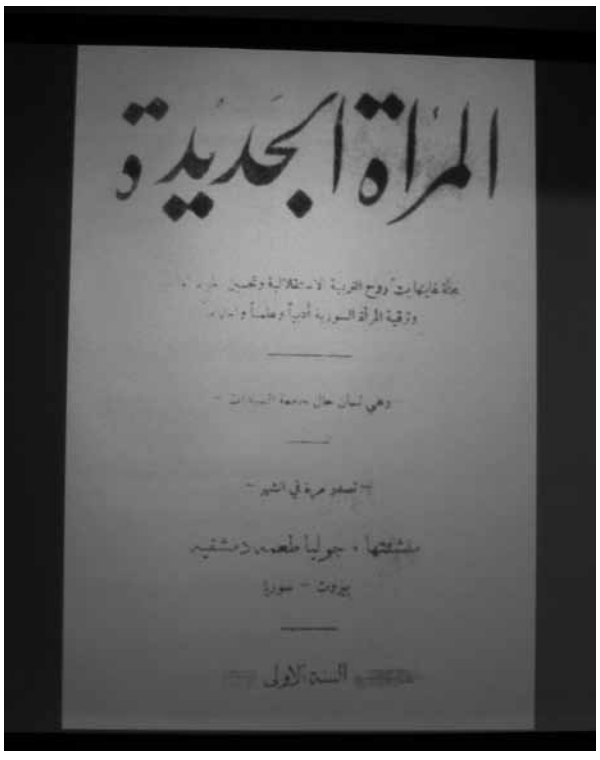

الحلم فالكابوس: محاولة لرواية ما لم يُروَ بعد من «التايتانيك»!

مئة عام مرت على غرق السفينة الأكثر شهرة في تاريخ البشرية (التايتانيك)، مئة عام مرت ومئات الكتب صدرت وعشرات الأفلام صُوّرَت، من دون أن يتذكر أحد أولئك الناطقين بالعربية الذين ركبوا متنها، أولئك الذين تحول حلمهم بالهجرة إلى الغرب كابوساً قادهم إلى الهلاك.

القصة التي ما زالت تشغل الناس إلى يومنا هذا، قصة السفينة غير القابلة للغرق، قصة الكارثة المروعة، كارثة القرن الـ ٢٠. ما زالت ناقصة! فهناك الكثير مما لم يروَ بعد. وها هي «ليلى سلوم إلياس» في كتابها الجديد (الحلم فالكابوس . السوريون الذين ركبوا متن التايتانيك)، تحاول لملمة الشذرات والتفاصيل من مزق جرائد هنا، وأرشيفٍ هناك، مقابلة مع ابن لناجٍ واتصال مع ابنة لغريق، لتصوغ وتستكمل حكايات تَبدو أغرب من أي حكاية قد تسمعها.

يبحث الكتاب الصادر عن (دار أطلس . دمشق، بيروت) في قصص أولئك الذين غرقوا على متن التايتانيك أو الذين نجوا وتابعوا حياتهم وهم يتذكرون ليلة المأساة حتى آخر أيام حياتهم.

تبدأ المؤلفة رحلة البحث من الشطر الأخير من القرن التاسع عشر، حيث البلاد ترزح تحت وطأة الاحتلال العثماني، وتعاني الفقر والركود، ومعظم شباب القرى في سوريا ولبنان يتركون قراهم ويهاجرون إلى الغرب أملاً في حياة أفضل متوقعة.

تتابع المؤلفة في الفصل الثاني فتروي عن استعدادهم للسفر وتحضيراتهم له، أما الفصل الثالث فقد خصصته لرواية قصص الناجين قصة قصة، فتقتفي آثارهم من خلال الجرائد التي كتبت عن الحادثة وقتها، ومن خلال مقابلات مع أبنائهم أو أحفادهم، وحتى زيارة القرى التي هاجروا منها في لبنان وغيرها... لتقص علينا قصصاً تبدأ من تحضيرات المسافرين والمسافرات للسفر ولا

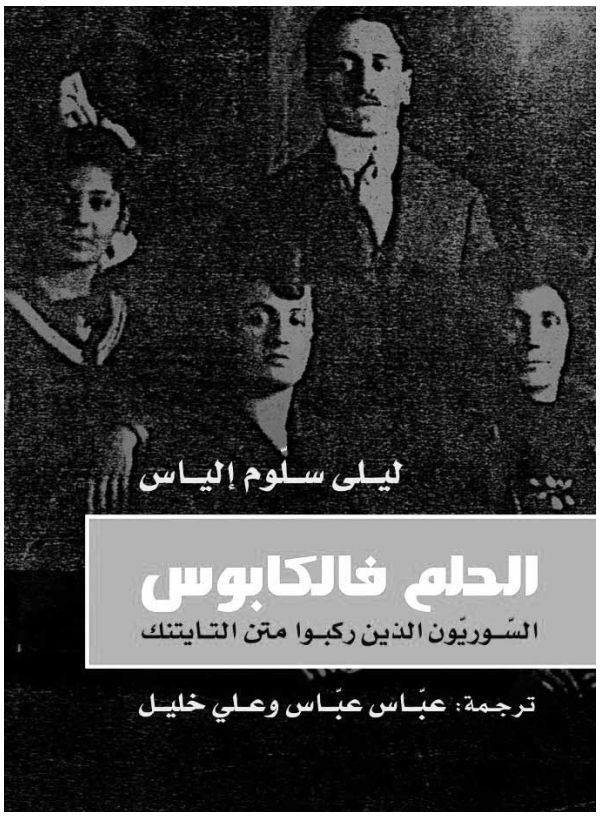

تنتهي عند النجاة من الكارثة بل تمتد إلى ما بعدها في محاولة لتوثيق حيواتهم وتوثيق الآثار النفسية التي تركتها الكارثة عليهم.

أما الفصل الرابع فكان مختصاً بالتقارير التي نُشرت أو قدّمت إلى جهات معينة، تلك التقارير التي وضحت تفاصيل غرق التايتانيك وتفاصيل ضحاياها من السوريين.

في الفصل الخامس تنتقل المؤلفة إلى رواية القصة الأكثر إيلاماً: محاولة ركاب الدرجة الثالثة التسلل إلى قوارب النجاة التي كانت أفضلية الركوب فيها لمسافري الدرجتين الأولى والثانية، جعلتهم ينجون من الموت غرقاً ليموتوا رمياً بالرصاص من قبل ضباط السفينة.

خصصت المؤلفة الفصل السادس لدور الجالية السورية في نيويورك، ودور الصحف العربية والتقارير التي نشرتها في نيويورك.

الفصل السابع الموسوم بـ»نشر المساعدات: الجالية تلم شملها» خصصته المؤلفة لتدوين وتسجيل جميع التفاصيل التي شكلت اللحمة بين أبناء الوطن الواحد في المهجر، فعمدت إلى البحث والاستقصاء لتسجل لنا كيف تفاعل أبناء الجالية السورية مع المنكوبين وبدأوا بجمع التبرعات لمساعدتهم.

ثم تتابع المؤلفة سرد حكايات ما بعد الكارثة في الفصل الثامن فتنقل الأجواء التي سادت في القرى اللبنانية والسورية عند سماع نبأ الغرق، وكيف ندبت الأمهات أبناءهن وبناتهن، والزوجات أزواجهن، والأبناء أقاربهم.

لم يبق بيت في القرى لم يفجع برحيل عزيز أو غالٍ.

ولذا تعمد المؤلفة في فصلها الثامن إلى توثيق قصص الركاب الذين قضوا في الكارثة، فتجمع أكبر قدر ممكن من أسمائهم وتحاول التقصي عن قصصهم لتدرجها في الكتاب.

تنهي ليلى سلوم إلياس كتابها بملفٍ يحتوي صوراً للركاب الناجين أو الذين قضوا، استطاعت الحصول عليها من عائلاتهم أو من أرشيف جرائد ذاك الزمن، التي ما زال بعضها يصدر حتى اليوم في لبنان.

أما لماذا كتبت هذا الكتاب، فالإجابة تحملها المقدمة التي كتبتها المؤلفة:

«هذه القصة ليست جزءاً من تاريخ العالم فحسب، بل جزء من تاريخ العرب وتاريخ قدومهم إلى أمريكا... وقد أصبحوا جزءاً من تاريخ واحدة من أعظم الكوارث البحرية في العالم، إذاً لا بد من أن تحفظ ذكراهم».

بحثٌ مضنٍ استغرقها خمس سنوات من العمل، فقط لتقول: لم ننسكم! وإن كل ما كان طي الكتمان لسنوات، سوف يرى النور الآن في هذا الكتاب.

«شهوة القيامة» المجموعة الشعرية العاشرة لـ نعيم تلحوق

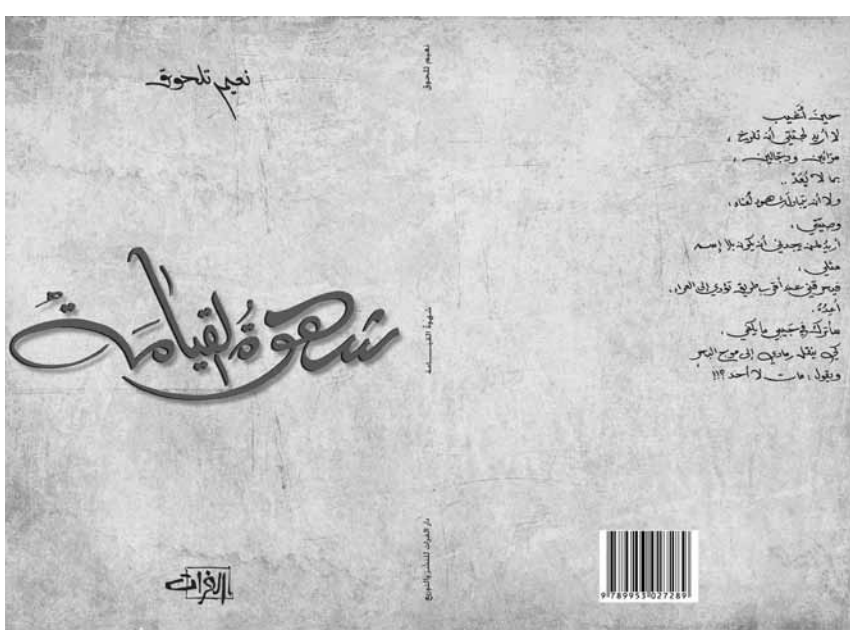

بصدور المجموعة الشعرية العاشرة «شهوة القيامة» يكون الشاعر نعيم تلحوق قد أنجز سلسلة العبارة الشعرية لمجلده الثاني، والتي بدأها في العام ٢٠٠١ بـ»أظنّه وحدي»، «يغنّي بوحاً»، «يرقص كفراً»، «لأنّ جسدها»، «شهوة القيامة» (هي وهو)، وذلك بعد أن أنهى مجلّده الأول في العام ١٩٨٥ بسلسلة العبارة الشعرية والتي بدأت بـ»قيامة العدم»، «هي القصيدة الأخيرة»، «لكن ليس الآن»، «وطن الرماد»، «هو الأخير» (هي وهو).

احتوت المجموعة الشعرية الجديدة «شهوة القيامة» على ٢٨ قصيدة جمعها الشاعر في لوحات ثلاث: أولى بعنوان «سقوط الشهوة قبل التداعيات» وفيها أسئلة الوجود والحياة والمصير، البداية والنهاية، سقوط، صدفة، رؤيا، شهوة القيامة، ووصية. إلى اللوحة الثانية وهي بعنوان «احتمال الخروج من الأمكنة»، وقد جمعت بعض قصائد الشاعر في رحلته إلى ألمانيا وأوروبا والأمكنة التي زارها. وفيها قصائد: نجوم، طريق، بلد، شجر النهايات، غضب، ... الى اللوحة الثالثة التي وقعت تحت عنوان «رقصٌ على عرش الكلام» وفيها تداعيات الشاعر مع الأنثى وعناوين: إليها، استدراكات، مغفرة، ولا شيء يتركني هناك وقصائد أخرى ...

يقول الإهداء: «إلى ملهمتي التي تضجُّ بوحشتي، وينفرد ضجيجها بي، كصمت مريب».

الكتاب صادر في ٩٦ صفحة من القطع الصغير، عن دار الفرات للنشر والتوزيع، والخطوط للفنان علي عاصي.

من أجواء الديوان:

حين أغيب، لا أريد لجثّتي أن تفرّخ مرّائين ودجالين بما لا يُعَد،
ولا أن يتبادل شهود لعناء وصيتي،
أريد لمن يجدني أن يكون بلا اسم، مثلي،
فيحرقني عند أقرب طريق تؤدّي إلى العراء، أعِدُه،
سأترك في جيبي ما يكفي، كي ينقل رمادي إلى موج البحر، ويقول: «مات لا أحد»؟!

البيئة تجمعنا

نظام بو خزام: البيت البيئي اللبناني تفعيل السياحة البيئية

• حاورته: سلوى صعب إزرافيل

رغم جمال الطبيعة في لبنان إلا أن النظام البيئي ما زال يعاني من التلوث المزمن الذي يشوه المشهد البيئي في بلد يعتمد اقتصادياً على جمال طبيعته الغنّاء التي تُشكل نواة الجذب السياحي، وفي ظل عجز الحكومات المتعاقبة على إيجاد حلول ناجعة للمشكلات البيئية في لبنان كان لا بد من نشاط حثيث للمجتمع الأهلي من خلال الجمعيات التي تُعنى بالشأن البيئي، وتسهم بشكل فاعل في خلق حالة من التوازن وتحد من التدهور البيئي، البيت البيئي اللبناني أحد أهم المشاريع الأهلية الناشطة في مجال حماية البيئة، يضم مجموعة من الشباب الذين فرقتهم السياسة وجمعتهم البيئة في محاولة لخلق قاعدة نشطة تُعيد للبيئة ألقها، ولتسليط الضوء أكثر على هذا المشروع التنموي، التقت مجلة «تحولات» الشيخ نظام بو خزام، رئيس جمعية مؤسسة البيت البيئي اللبناني، وكان معه الحوار الآتي.

• بداية ماذا يمكن أن تخبرنا عن مشروع البيت البيئي اللبناني؟

• تتضمن فكرة المشروع الذي يحمل اسم، (البيت البيئي اللبناني) إنشاء بيت بيئي ضمن الجمعية، ويشمل المشروع عرض العادات والتقاليد اللبنانية عند مختلف الطوائف، ويُعنى بأمور الزراعة العضوية، وبنك للبذور، ومختبر للنباتات، ومطعم بيئي، وقسم للأشغال اليدوية بغية مساعدة النساء المحتاجات في المنطقة، إضافة إلى حديقة حيوانات أليفة مصغرة، ودورمات للسائحين لقضاء وقت لدينا ليتمكنوا من التعرف على البيت البيئي بشكل أكبر – أما الشق الصحي فهو شامل يتضمن دورات وورش عمل مستمرة، ويوجد الان فكرة دورة تعليم حياكة النول، اضافة الى دورات لغة انكليزية وكمبيوتر ورسم – وبالتالي نكون عم نبني ثقافة بيئية وتوعوية في المنطقة، ونسعى لتحقيق رؤيتنا التي تهدف إلى بناء مجتمع ثقافي سليم.

• ما هي الأهداف والمرتكزات الأساسية التي يقوم عليها المشروع؟

• سأجيب من حيث انتهى سؤالك، يشكل هذا المشروع نقلة نوعية ضمن مجاله البيئي ومساهمته في السياحة، ولكن ذلك يحتاج للكثير ولن يأتي بسهولة، إذ يلزمنا تحضيرات وتبرعات لدعم المشروع، إضافة إلى القيام بجولات وزيارات، وكانت الخطوة الأولى منذ شهرين بإطلاق مؤتمر صحفي عن المشروع في (الأونيسكو) برعاية السفيرة الدولية للبيئة (كرازيليلا سيف)، وبدأنا حالياً بمرحلة التنفيذ إلا أن الوضع الأمني المضطرب في البلد يحد من عملنا ويؤخرنا قليلاً، أما الأهداف من المشروع فهي ترسيخ التوعية البيئية، وتذكير اللبنانين بالأصالة والعراقة التراثية اللبنانية، ونشر التقاليد البيئية التي كانت موجودة بين كل الطوائف وممزوجة بين كل الطوائف. المعاناة الإنسانية

• هي الاستراتيجيات المُتعبة من قبلكم لإنجاح المشروع؟

• بالحالة الطبيعية لدى الجمعية استراتيجية جديدة كل ثلاثة أعوام، تسهم في رفع وتيرة العمل، وأهمها التركيز على مفهوم البيئة، والتثقيف البيئي، وتكريس الأخلاق البيئية في المجتمع من خلال شعار أطلقناه هو: (بيئتنا أخلاقنا)، ومنه نمضي في طريقنا لتحقيق رؤيتنا للمشروع.

• أي مشروع يحتاج لتضافر جهود، فهل وجدتم مؤسسات مماثلة للتعاون معها، وكيف ؟

• كما أسلفت المشروع يحتاج على جولات وزيارات لخلق حالات تعاون إيجابية، وعليه تم التواصل مع عدة جهات محلية وعالمية، وافتتحنا فرعاً خاصاً باسم (الأرزة والزيتونة) في منطقة شارلو القريبة من مدينة ليون الفرنسية، ونحن شركاء مع (فريدريش آفريت)، وأعضاء أداريين في الحركة البيئية اللبنانية، وأعضاء للمجتمع اللبناني لحماية البيئة، وعضو دائم للمؤتمر الوطني الدائم بوزارة البيئة، ومراقبين لوزراء البيئة العرب بجامعة الدول العربية، ونحن متعاونون مع جمعية الإنماء الاقتصادي في بعقلين، وشركاء مع محمية (أرز الشوف)، وأنا شخصياً عضو مؤسس باللقاء الروحي المتعدد الطوائف بالجبل، وفي النهاية كل عمل بدون منافس أو شريك لن تشعر بأهميته وقوته.

• لكل فكرة محرض أو دافع وربما سبب تولد من خلاله، ما سبب اختياركم لهذه الفكرة؟

• هذا الكلام صحيح، وفكرة هذا المشروع تمخضت عن عدة عوامل شخصية، منها دراستي الاكاديمية وهي التجارة، إضافة إلى استشهاد والدي أثناء عمله بالأرض حيث سقطت عليه قذيفة فارتقى شهيداً، وكنت آنذاك أول من يراه ممداً على الأرض، كان عمري حينها 17عاماً، وكان للمشاعر دورها، ومن بعدها فكرت أن أؤسس جمعية بيئية بعيداً عن الدمار والسلاح، وكانت (البيت اللبناني للبيئة)، والقصد منها ان البيئة تجمع وتوحد، أما الاسم فاخترناه لأن البيت اللبناني دائما مفتوح لكل الناس بمختلف جنسياتهم وطوائفهم، وحقيقة توفقنا بعدة امور من سنتين قمنا بعمل ورشة عمل كانت بعنوان، (متنوعون متشاركون)، وهي بين جيراننا في دير القمر والأقليم، فتعرفوا على بعضهم، وكونوا صداقات وروابط أسرية عميقة، بعدها تم تأسيس اللقاء الروحي، وبهذا نكون نعمل على تكوين بيئة سليمة نعيش ضمنها ومن خلالها نحيا بمحبة وسلام.

• مشروع تنموي يحتاج إلى تمويل، كيف تمولون مشروع البيت البيئي؟

• التمويل معضلة بالنسبة لنا، فلا يوجد ممولين للمشروع، ونأمل أن نحصل مستقبلاً على دعم نستطيع من خلاله الانطلاق بقوة، باستثناء ورش العمل التي تمولها شركة (فريدريش افريث) لأننا شركاء، وتعتمد

الجمعية على المتطوعين، ولكننا نقوم بتقديم مشروع للفئات والمؤسسات المانحة، ولا يوجد لدينا عمل وظيفي بل عمل تطوعي، ولكننا نقوم بتقديم مشروع للفئات والمؤسسات المانحة، وإذا تم التوافق عليه نوظف لمدة ما ينتهي المشروع، وتكون الأولوية بالتوظيف للأعضاء المنتسبين للجمعية، أما الأعضاء الذين أنهوا دراستهم الصحية فيقومون بإعداد الدورات الصحية، وبذلك هم يستفيدون ويفيدون غيرهم.

• بماذا يُعنى البيت البيئي اللبناني؟

• البيت اللبناني للبيئة هو جمعية لها رؤية لبناء مجتمع بيئي سليم، وهو متخصص بثلاث مواضيع:

. النفايات: نقوم بمشروع مهم جداً لمعالجة النفايات.

. التربية البيئية – وهي تقوم بدورات وندوات وتأسيس نوادي بالمدارس والعمل مع جمعيات بهذا الموضوع.

. التثقيف البيئي – أي الأخلاقيات البيئية، وكيف على المواطن أن يتصرف ويكون لديه شرعة بيئية ،وكيف يعمل بشكل يومي بشكل مفيد للبيئة.

• ماذا تخبرنا عن النتائج التي حققها المشروع على أرض الواقع؟

• استطاع المشروع بناء قاعة تثقيفية للجمعية، وهي أول قاعة بمنطقة الشوف بتمويل من البنك الدولي ومجلس الإنماء والإعمار، وكانت أولى المناطق المستهدفة بالمشاريع التي تم تنفيذها، ومن ثم قمنا بعمل دورة تخصصية في فرنسا تتعلق بفرز النفايات، إضافة إلى حملات التشجير والتنظيف الدورية، وتم تأسيس 13 نادياً بيئياً في المدارس مستمرة بالعمل، وناديين بقرى عنبال وعترين، ونسعى حالياً لتأسيس نادي في الإقليم وتحديداً في شحيم، وأقمنا ندوات كثيرة متنوعة ومختلفة، وكل هذه النشاطات كانت تصب بأهداف بيئية.

• هل كان هناك نتائج حقيقية وملموسة للندوات التي أقيمت؟

• كانت النتائج مهمة وناجحة بشكل كبير من الناحية المعنوية، أما من الناحية المادية فهي خجولة، ولا أخفيك تعرضت للسخرية حين بدأت المشروع، حيث لم يكن مفهوم البيئة متداول بالشكل السليم، بينما اليوم يوجد بلديات نتعاون معها والمجتمع المحلي يقصدك، ونقوم بتوزيع السماد العضوي الى المزارعين، وفي هذا العام تم التوزيع مجاناً، وبعد 15 عاماً اثبتنا وجودنا، واثبتنا للعالم والمجتمع أن هدفنا البيئة ولا نتعاطى مع السياسة ونحن بالجمعية من عدة طوائف.

• ما هي الشركات التي تتعاونون معها؟

• طبعاً، أقمنا العديد من الشراكات مع جمعية (هيا بنا) فمن خلالها نقيم دورات اللغة الانكليزية، ونحن شركاء مع المركز الثقافي الفرنسي.

• هل تستقبلون في الجمعية جميع الراغبين بالانتساب والعمل بعيداً عن أي حسابات أو توجهات؟

• نحن لا مشكلة لدينا تجاه أي إنسان، فهو حر باختياره السياسي، والبيئة تجمع كما أسلفت، وأنا احترم أي شخص مهما كانت طائفته وسياسته، والمهم أنه يعمل من أجل وطنه بالدرجة الأولى، وأساساً نحن في الجمعية من عدة طوائف وجنسيات وهذا ما يميزنا عن غيرنا.

• هل تتابعون المنتسبين إلى البيت البيئي اللبناني بعد انتهاء دوراتهم التدريبية، وكيف؟

• المنتسب إذا كان جامعياً او بالمدرسة نقوم بمساعدته بتخفيف الأقساط، وذلك لأنه محب للعمل الاجتماعي، وقام بالمبادرة الاجتماعية بشكل شخصي، وجميع الطلاب الذين يقدمون ساعات لدينا نقوم باعطائهم إفادة بعدد الساعات التي أمضوها معنا، كما يحصل المنتسب على بطاقة انتساب إلى الجمعية، وله حقوق وعليه واجبات، وذلك لأنه ملتزم بميثاق اخلاقي، ونؤمن كثير من الوظائف للمنتسبين في الجمعية.

• هل يوجد رسم اشتراك معين يفرض على المنتسبين للجمعية؟

• نستقبل المنتسبين في سن 15 سنة، ولا نمنحهم بطاقة انتساب حتى يبلغون 21 سنة، لأنه سن العطاء والقوة والشباب، أما رسم الانتساب فهو 60 الف ليرة لبنانية سنوياً، نأخذ هذا المبلغ من المنتسب لكي نشعره بالمسؤولية، وعندما يصبح عدد المتطوعين 15 متطوعاً نقدم لهم دورة قيادة يتعلمون من خلالها، كيف يكونوا قادرين على اتخاذ اي قرار؟ وما هي المراحل التي يقطعونها لتحقيق أهدافهم؟ ونكثف له ورش العمل إذا أراد أن يكون من الهيئة الادارية في الجمعية ونقدم له شهادة مصدقة بالعمل الذي قام به.

• هل يتضمن برنامج عملكم أنشطة ثقافية في إطار توعوي بيئي؟

• نعم يتضمن، ونحن نحضر حالياً لعمل مسرحي يشارك به مجموعة من المنتسبين الهواة، وتشرف عليه السفيرة الدولية (كرازيليلا سيف) وهو من إخراج جون مكرزل وسيعرض خلال هذا الصيف، ولدينا مشروع تعاون مع جمعية (الكويت لحماية البيئة) في دولة الكويت، والمشروع هو تبادل خبرات شبابية بين الدولتين، وهذا

العمل يصب في التنمية الثقافية البيئية إذ أننا نعرف الآخر عن عادات وتقاليد وثقافة لبنان، حيث سيقيم المشاركين الكويتيين في بيوت الشباب اللبنانيين تسريعاً لعملية التواصل المعرفي، ويصبح لدينا في هذه الحالة تواصل حقيقي ومميز بين الشباب العرب.◗

«المجتمعات التي تخيفنا بشعة ولا تنتج مبدعين»

ناديا بو فياض روائية لبنانية تدخل العالمية

◗ ناصرت القضايا الانسانية فأنصفتها العالمية. ناديا بو فياض روائية لبنانية دخلت العالمية بدخول روايتي «وكان الحب شهيداً» و«أبناء القدر»، الى صرحين ثقافيين عالميين، هما مكتبة جامعة ستانفورد، في الولايات المتحدة الاميركية، ومكتبة جامعة تورنتو في كندا.

بداية، مبروك للكاتبة اللبنانية ناديا بو فياض دخولها العالمية، ونتمنى لها المزيد من العطاء الفكري، ومبروك للبنان وللعالم العربي ايضاً، اللذين تعزز حضورهما في هذه المنابر، بروايتين لروائية لبنانية.

قيل عن ناديا بو فياض انها روائية يفيض قلمها بالقيم الانسانية، غزيرة بصورها، تعبر عن فكرتها بمزيج من الفلسفة والشعر، وتختلط لديها السياسة بقضايا المجتمع، تقدمها بأسلوب مشرق جذاب يتنقل بين السرد والشعر والفلسفة، في معالجة عميقة للقضايا السياسية والاجتماعية، وتصور الواقع كما هو من غير مواربة. ابرز ما تتميز به هذه الروائية انها تثير اشكاليات في كتابات هادفة، تحمل القارئ على طرح اسئلة على نفسه، تخربط مفاهيمه، وتجبره على إعادة ترتيب قناعاته في حياته وفي الحياة.

كان واضحاً منذ صدور رواية «وكان الحب شهيداً» للكاتبة ناديا بو فياض، وهي روايتها الاولى، انها تتقدم بخطوات ملموسة في عالم الرواية. هذه الرواية، التي قال فيها الكاتب المدير العام السابق لتعاونية موظفي الدولة انور ضو، انها شكلت لها مدخلاً رائعاً الى عالم الادب،

دخلت فور صدورها الى مكتبة الجامعة الاميركية في لبنان، ثم الى مكتبتها في الكويت، ثم برزت كإحدى افضل الروايات التي عرضت في معرض الكتاب الدولي في الكويت، في العام 2008، ثم دخلت مؤخراً الى مكتبة جامعة ستانفورد، في الولايات المتحدة الاميركية.

رواية « وكان الحب شهيداً»صادرة عن دار بيسان للنشر والتوزيع – لبنان، وتقع في 285 صفحة من القطع المتوسط.

رواية «ابناء القدر»، صدرت في العام 2010، وحازت اهتمام اهل الثقافة سريعاً. قدمت فيها ناديا بو فياض طرحاً اشكالياً جريئاً حول الهوية. نقرأ في الرواية: «.. كأن بعض المفاهيم تحبسنا في سجون ذهبية، وما فائدة السجون حتى لو كانت مذهّبة... ما ابشع المجتمعات والمفاهيم التي تخيفنا... ما أبشع ان نخاف...». تشترك ناديا بو فياض مع جبران خليل جبران في ثورتها على الموروث الذي يحاول ان يقولب الانسان في قالبه المتجمّد، وتدعو الى «الحرية التي من دونها لا مكان لأي إبداع...»، وتقول «ان الابداع والخوف لا يتجاوران»، ويُستشف من كتاباتها ان المجتمعات التي تخاف لن تنتج مبدعين.

على صفحة الغلاف كتب الناشر، انه يتوقع ان تثير هذه الرواية جدلاً في الاوساط الثقافية، إذ يصعب على مجتمعاتنا العربية أن تتقبل السؤال الجريء الذي تطرحه حول الهوية.

«ابناء القدر» روايات في رواية، تقود القارئ من دسكرة صغيرة في لبنان الى كندا، ثم الى الكويت والعراق والولايات المتحدة، وتأخذه الى عوالم مختلفة، تثير فيه الدهشة والمتعة، لتنتهي به الى طرح الاسئلة الصعبة على الذات.

مُنعت رواية «ابناء القدر» في السعودية وفي الكويت، وربما كان هذا المنع سبيلاً اضافياً لشهرتها. صادرة، كما رواية «وكان الحب شهيدا»، عن دار بيسان للنشر والتوزيع، وتقع في 385 صفحة من القطع المتوسط.

للكاتبة ايضاً، اصدار شعري بعنوان «كوني انت»، صادر ايضاً عن دار بيسان للنشر والتوزيع، في العام 2000. عملت وتعمل في حقل الاعلام، متنقلة بين الصحف والمجلات والاذاعات، ومحطتها الاخيرة في عالم التلفزة. شغلت مناصب عدة رفيعة في لبنان والخارج، أهمها صفة مستشار اعلامي.◖

زيتوني والذيب ضيفا أمسية في منتدى تحولات

• **فراس الهكار**

◗ أقام منتدى «تحولات» أمسية شعرية شارك فيها الشاعران، وليد زيتوني وأمين الذيب، وحضرها عدد من المهتمين بالشأن الأدبي والثقافي.

افتتح الشاعر وليد زيتوني الأمسية موضحاً أن الشاعر هو ذاك المتشرد الباحث عن مفردة تائهة في فرح الأطفال، وشوق المحبين، وارتحال الطيور، ونبض الشارع، ونزيف الشهداء.

ورأى زيتوني أن القصيدة هي المفردة والحالة المغايرة واللحظة الشاذة الانتقائية مؤثرة ومتأثرة تبحث عن مكان لها في القاموس العام فلا تجده، تبحث عن العام انطلاقا من الخاص وتعبر عن الخاص بما هو عام، وقال:

جئت حاملاً سلامي
الطريق طويل طويل
والزمن الرمادي قاتل
حين صار الأنبياء بيارق ملونة على أسنة الرماح
جيوش القبائل حشود العشائر
تحتل كل مطرح وساح
لم يبق من الحضارة إلا حفنة من رياح

وأكد زيتوني أن للشعر سطوة خارج المعقول، حيث يعالج ما يتعذر على المنطق علاجه، فيقونن التمرد ويقولب الجنون ويكشف المستور ويستر المكشوف.

في زمننا المعيش الحضارة خرجت عن منطقها الايماني خرجت عن منطقها حتى الجاهلية خرجت عن منطقها...

وقال:

كلما امتدت في السماء فروعي
تغلغل في جذوعي اليباس
أنا شجرة الدر وكيلة الله
ساحرة الناس
قتلتني مداسات المماليك

وأضاف الشاعر، عندما نفشل في إيجاد المفردة المطابقة، المعبرة عن حالة زمنية معينة نبدأ بعملية اقتراب غير مباشر باستخدام أشكال أخرى. نحاول من خلال التصاوير والرسوم التعبيرية اللغوية، أن نجد بديلاً عن هذه المفردة، وقال:

خذيني الى حيث ينكسر الحب على أبواب خيمة
وتتعرى الشمس لحظة الذهول
خذيني الى حيث الكلاب
تطارد بقايا الوفاء
وينعب فوق المكان غراب
خذيني الى حيث الشرايين
تعطي الوديعة دون حساب
لأرسم فوق التراب خريطة أمة

الذيب

أما الشاعر أمين الذيب فقد أكد أن اللغة كائن حي ينمو ويموت، وأن الحضارة حيوية الشعوب، والوطن الأرض والإنسان، والحرية معنى الوجود، أما الله والشعر فهي مسائل غير محسومة، وقد قال:

أفرغت كأسي مثنى وثلاث ورباع
أدمنت إشراقي بك

حتى الضياع
كيف أغفو وعاشق في داخلي
يطوي الزمان مضاعفاً إن جاع

ورأى الذيب أن القرآن جاء بحداثة في النص تخالف نمط الخليل بن احمد الفراهيدي، وقد تغافل عنها الأعراب وما زالوا، وآثروا البقاء في الماضي المألوف حتى ولو ذهبوا إلى آخر الإبداع أو آخر الطواف فلم يتذكروا أن الله جاءهم بكلام جديد ليس فيه رتابة، وقال:

أوضب ما تبقى من حقائب انكساري
وانتظر شراعاً ماجناً كي أحمّله ضباب الروح
واشتياقي لفضاء فيه عينيك
وأبحر حيث أنت
تاركاً كل المنافي
وأرسو في أحضانك
فهناك صارت دياري

اختتمت الأمسية بمناقشة القصائد التي ألقاها الشاعران، وتباينت الآراء حول ما ألقي مما أضفى على الأمسية حيوية زادت من ألق الكلمات.◖

نــوافذ على الضوء...

جـدل

في جدل ما قبل الماء الأول،
بتوقيت العمر المستيقظ متأخراً،
تدحرجتْ شعوبٌ
من شقاوةِ عينيه على جسدها،
كأنها ريح الماضي الخاوي
تنثرُ جزيئات أنوثتها
فوق أنقاض الوصايا المقدسة
لتبحث عن طفولة يتيمة
في تفاصيل الظلمة،
لتخلق كائنات برسم الحياة،
في سماء حلمٍ
ربما يخطئه الكسوف.

إجهاض

بكل ما أوتيتْ من موت
تعلن نفسها خلقاً آخرَ،
لا يفنتها طباق أو جناس،
وحيدة على رفّ الانتظار
لمن يفك أزرار لغزها،
لمن يهدر رهبنتها،
كل غواية في شرع الطهارة
قد تقول: لستُ أنوثة تغريك شهوتها بعد احتباس جوع،
أو دوار شوق،
ولست مجرد قطب
أذابه عصف استواء،
أو هزيمة طاردها ذكر الخلود
أنا محضُ نزيف يعلن ولادتك

أنــوثة

لن أردم أنوثتي تحت تربة الغياب،
سأرفع حائط الضوء في وجه الأوج،
لن أسرق خيوط الشمس
لأطعم صغار دمعي.
إنَّما
سأجمع عدّتي من الصباحات وعلب الحبر السائلة
كأنت على خدي،
يا ابن جلدي،
في أقرب نسيان
سأسير على سطح نسائك،
سألاقي غربةً ما
تفرش لي سجادها العاري من الوطن.

يشتد بي الأزرق

يكبرني بعشرات القبل،
بمئات الأقداح.
ما زلتُ
كلّما لاح موجه عن وَلَهٍ
اشتدّ بي الأزرقُ
لأُطبق شفاهَ الجنون
على عتبة سمائه:
عم بحراً أيها المعنى
عم سماءً أيها الضياء

• **الشاعرة السورية صبا قاسم**

شوقك ذباحُ

في حبات الرمل
في الحصى
في الخضرة المستحيلة
في المسا
في تعاريج الطريق الطويل
في خجل بنات بلادي
تلميحٌ و إفصاحُ

متيمون للصميمِ
أهل الشام
مرج بساتينِ
يعاندون الجور باللين
دراقٌ و تفاحُ

يهيم القلب مسجونٌ
أصفادٌ تحبسُ ترتاحُ
هواء الشام لي كفني
وللاصفاد مفتاحُ

هذي الشام تنادي
كل من راحوا
بلادي بلاد الحرن و الفرحِ
فيها خوفٌ
فيها موتٌ و أفراحُ
فيها من كل ما نجود لها
فمن للشام بعد الحب؟
أشباحُ!
من للشام؟؟
نحن لها..
تضج الروح تجتاحُ
بلادي شوقك ذباحُ
عرفنا قصور الكون
لكن على ترابك نرتاحُ

• **خلدون م. ريس**

بلادٌ لم تجدها على الخارطة

بلادٌ لم تجدها على الخارطة
كجزيرةٍ مفقودةٍ في محيطِ النسيان
نجمةٌ لها هويتُها وضوءُها.. لكن
لا تصلُها الأيدي
بقيت في منعزلٍ عن التاريخ والمؤرخ والصارخ والمستصرخ
بلادٌ نسيها أهلها في زحمةِ الأنباءِ و القيد
بلادٌ ولياليها تملأها السمومُ
لتشعلَ الدموع في الاحداق كالجمر
وأنا أمشي عشوائياً في الأزقة
كحياتي وموتي المرّ
فيوقفني أحدٌ و يسألني بلغةٍ مشتقةٍ من لغتي
ويظنها الأفصحُ
يسألني: ما هو اسمك وما تفعلُ
أجيبه لا اسمي لي
أنا شاعرٌ تائهٌ في بلدي
أتجوّل تحت ضوء القمر
لعلي أجد ذريعةً
أكتب فيها قصيدةً
وكل شيء تخلى عني
فلم يبقى شيءٌ لي سوى هذه الرياح الحارة
و الغبار الذي يتجوّل في رئتيّ وأحلامي
فل تشاركني؟
لأقاسمك الغبار والرياح....
فيضحك مني ويحسبني مجنوناً
وربّما يشفقُ عليَ و يمر
بلادٌ وفي أحيائها
وقبل النطق بالكلام و تفتّح العيون
وبين الابواب والجدران المتعبة من حمل الوجدان
والمرهقة كالجفون
يعلّمك الزمان إما أن تكون شاعراً
وإمّا أن تكون مجنوناً
بلادٌ وفيها من الجمال ما يهزم التعب ومن اللاشيء ومن الهوية و اللاهوية
ففيها أشياءٌ.. هوية تصير عند ملامستها
وكأنّ من في البلاد استدوعوا الهوية في الأشياء
خشية إن ماتوا تتخلدوا الأرواح
بلادٌ وفيها مشيت تحت أقواسِ جسرٍ
لم يكتملِ القرنُ على عمره
لكنه يحمل كلَ العناوين دون إيضاح
وعندما صارت خطاي عليه
أحسست بأنّ الأقواس ليست أقواس حديد
بل أقواس قزح رغم غياب الألوان
وهناك.. عند ملتقى الأقواس تصيرُ قاب قوسين أو أدنى
من إنتهاء المادة
فالأول يحملني إلى الفردوس
و في الثاني ملأت من الأبدية الأقداح
بلادٌ وفيها جبلٌ شامخٌ شيدته الأيدي رافع الرأسِ
ليكون شاهداً على التاريخ منذ ما دُوّن التاريخ
وكأنَ معمار الزيغورات كان شاعراً
لأني أراه كقصيدةٍ عموديةٍ من خمسة أبيات تُقرأ بالعكس
فالبيت الأول ينبت من الأرض
ثمَ يعلوه الثاني ثمَ الثالث
أمّا الرابع قد ضاع في العدم
والخامس حينها قد ذاب في الدم

• **يوسف السرخي**

«وجه أمي» معرض للفنان السوري جمعة الناشف في قصر الأونيسكو

• ديمة مرشد

◗ أقيم في قصر الأونيسكو ببيروت معرض الفنان والنحات الفراتي جمعة الناشف حيث أزاح الستار عن 40 عمل فني طغت عليها التعبيرية الرمزية، ونحو 15 عملاً نحتياً من الرخام والصخر. بحضور نخبة من الفنانين والمهتمين بالشأن الثقافي. يضفي اللون الأخضر على لوحات الفنان جمالية خاصة، ويبث المعرض الذي حمل اسم: «وجه أمي» الأمل في نفوس من يبحر في اللوحات واخضرارها الطاغي.

وقال الفنان جمعة الناشف في تصريح خاص لـ«تحولات»: وجه أمي وجه سورية ككل، أمي الكبرى، وجه أمي العطاء الحضارات والتاريخ والرسالات السماوية التي انطلقت من سورية، وجه أمي الأبجدية المسمارية أوغاريت والموسيقى وأورنينا كل المبدعين هم وجه أمي.

ويضيف الناشف، حاولت من خلال اللون الأخضر الذي اعتمدته في لوحاتي إيصال رسالة الخير والعطاء والمحبة والسلام، يكفينا ويكفي وطننا ما عاناه من خراب، تعبنا من الدمار من الموت لذا حاولت استحضار كل الأشياء الجمالية في الأرض السورية، وسورية هي بلد العطاء عمرها الضارب في عمق التاريخ يجعلك تؤدي الرسالة بأمانة تجاه بلد عمره أكثر من 10 آلاف عام قبل الميلاد.

وحول رمزية الأسماك يوضح الفنان أنه يرمز بالأسماك إلى بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات، وقال: أنا ابن الفرات ومدلولات السمك كثيرة منها استمرارية الحياة التكاثر والخصب إنما وظفته في لوحاتي للرمز إلى بلادي.

ويؤكد الناشف أنه لم يتأثر بأي تجربة فنية ويسعى لصناعة أسلوبه الخاص، ويرى أن عين الناقد هي التي تستطيع أن تجسد اللوحات التي أرسمها.

ويدعو الفنان جميع السوريين إلى العمل على إرساء السلام ونشر الخير والمحبة في بلد الحضارة، ويحاول جمع الوجوه كلها في وجه واحد هو وجه أمي، ورمزية اللون الأخضر من خلال الرموز التي تؤلف بين القلوب أوراق الزيتون والعمارة التاريخية والبناء والموسيقى العربية العريقة والأصالة التي تتجلى في الحروف المسمارية العربية الذي يزين اللوحات.

الجدير بالذكر أن الفنان جمعة الناشف من مواليد الفرات في مدينة الرقة سوريا عام 1969، وعضو اتحاد الفنانين التشكيليين السوريين، حائز على عدة جوائز في مجال النحت منها جائزة في مهرجان بصرى عام 1985 وله العديد من المشاركات في المعارض الفردية والجماعية في النحت والرسم.◖